لم يكن قلم الاب ثابت هيّاباً جباناً يخشى التهويل او التلميح والتصريح او يلجأ الى الانزواء والاختباء بل كانت من طباعه المساجلة والمجادلة والمبارزة . فانه لم يعتدِ على احد ولكنه ما كان يحتمل ان يتطاول عليه قلم مهما علا واستطال وما ارتدَّ في مجادلاته الا فائزًا ظافرًا .

كان ضنيناً بالزمان ان يذهب سدىً لذلك اكبَّ يخطّ على الطروس عاملاً ليلاً نهارًا في شتى المواضيع فأتى وهو فرد بما لم تستطع اتيانه عشرات الاقلام . قال الشاعر :

املأ الدنيا بما تستطيع من عمل يبقى اذا العمرُ ذهب
انما الاعمالُ تاريخ الفتى تقرأ الاجيال فيه ما كتب

كان الاب ثابت ميّالاً الى المباسطة والمفاكهة — واحياناً في بعض كتاباته اذا اقتضاها الحال — لا سيما بعد ان يترك القلم من يده استجماماً للراحة ، ولا يعود الى الجري به الا بعد ان يشعر ان النشاط قد دب في اعصابه . كم من ليال سهرها وآلام في معدته عاناها وهو مكب على الترجمة او التأليف وليس له من سمير غير القلم ! فقد كان كبيرًا في اخلاقه كبيرًا في آدابه كبيرًا في قلمه كبيرًا في انتاجه ! أحب لبنان حباً عميقاً صافياً وكتب عنه المقالات الطوال فبرّز وحلّق وأطرب وابدع في وصف مباهجه ومفاتنه وفصوله الاربعة وفي جمال ارزه وغاباته واوديته وانهاره وتدفق ينابيعه وظلال اشجاره ورقيق نسيمه وشروق شمسه وسحر غروبها ومسبح قمره واستضاءة نجومه !

نقل عدة كتب وروايات من الفرنسية الى العربية بلغة فصحى لم يظهر عليها اثرٌ للتعريب فبرزت آية بالرشاقة جديرةً بان ينسج على منوالها .

وتخطّى قلمه الى كتابة مواضيع دينية وعلمية وادبية واخلاقية وروحية وعمرانية وكان فيها جائلاً بين النجوم .

وله بعض كتب موضوعة او مترجمة كُلّف بها ظهرت مطبوعةً باسم غيره وكانت عبارته تتمّ عليه وتشير اليه وهل يخفى القمر ؟ . وكم قُدّم له من روايات وكتب روحية وفلسفية ولاهوتية لتصليح عبارتها ؛ فاجال فيها قلم التنقيح والتصحيح وقلبها بطناً لظهر وكساها ثوباً طريفاً من نسج قلمه واعادها الى اصحابها فأصبحت فخورةً به مجلوةً كالحسناء .

درّس في مدرسة الشرير المرسلين في دير القمر ودير كفيفان، ودير سيدة نسيه غوسطا ، وبئر الحيت وحيفا .

كان الاب ثابت خطيباً ملسناً طالما رصّع المنبر بالدرر والغرر واكتسب ثقة السامعين . وهو الذي انتدبته دير القمر لتأبين المرحوم داود بك عمّون في حفلة جنازه فجال وبرع وابدع شأنه في مواقفه الخطابية الرسمية. وله خطب متفرقة في مناسبات شتى اقتُرحت عليه لتلقى في حينها وأمكنتها وهي تؤلف كتاباً ضخماً اذا جُمعت .

وعندما تقف على لائحة مؤلفاته ومعرّباته المطبوعة والمخطوطة تدهش لجلَد هذا الرجل ومثابرته على صناعة الانشاء طيلة حياته حتى انه لم يترك القلم من يده الا ساعة مرضه ونقله من دير البرامية الى دير القديس يوحنا الحبيب (الراس) ومنه الى مستشفى القديس يوسف في الدورة حيث لفظ فيه انفاسه يوم الخميس الواقع في ١٤ ايار سنة ١٩٦٤ ونُقل جثمانه الى دير مار جرجس الناعمة حيث أقيمت في كنيسته حفلة جنازه يوم الجمعة التالي ودُفن هناك مكفّناً بالعبرات والحسرات وانكفأ حاضرو مأتمه يردّدون قول الشاعر :

اخو العلم حيٌّ خالد بعد موتـــه واوصاله تحت التراب رميمُ
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظنّ من الاحياء وهو عديمُ

وكان آخر كتاب عرّبه قلمه وأتمّه هو « أريج روما » .

هذا هو الرجل الذي فقده الوطن والرهبانية اللبنانية وبكته وقدرت بطولته واثنت على كده وجهاده ووارته الثرى مردّدة قول الشاعر :

سيذكرني قومي اذا جدَّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

اني واخي وصديقي

لقد شقّ عليَّ غيابك ، وزاد ألمي تفكري بعدم ايابك . دعاك الداعي وما استطعت تأجيله ليودعك اخوانك واصحابك ويلقوا على ذلك الوجه الصبوح آخر نظرة يتزودونها منك في الحياة ، لذلك بضع الألم قلبي فاسال الدمع المحرق من عيني ورحت اسائل نفسي : اصحيح توارى عن الوجود الاب مبارك ثابت وامسى في عداد الاموات ؟! كنتَ لي أخاً وصديقاً تكشح عن قلبي ضباب الهموم والغموم وتنعشني بالأمل والرجاء ، وما كان همّك الا ان تراني طرباً مسروراً متمتعاً باطيب عافية فكيف لا ابكيك وارثيك واستكبر المصيبة فيك ؟

فتق يا حبيب القلب

انك منذ تواريتَ في التراب وانا كما قال الشاعر :

ما جفَّ للعينين بعدك يا قرير العين مجرى
ان المحبة لم تدع مني سوى عظمٍ مبرّى
ومدامعٍ عبرى على كبدٍ عليك الدهر حرّى

قيل : ان في الناس من يدب فيهم الفناء وهم بعد احياء ، اما انت فكان موتك بدء خلودك .

احل ! انك غبتَ عن نظري يا اوفى الاوفياء واخلص الاصدقاء ولكنك لم تغب عن خاطري فانت غائب كالحاضر كقول الشاعر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى لئن غبتَ عن عينيَّ ما غبتَ عن قلبي
ترينيك عينُ الوهم حتى كأنني اناجيك من قرب وان لم تكن قربي

وقال الحكيم بن قنبر :

ان كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي يرعاك قلبي وان غيّبت عن بصري
العينُ تبصرُ من تهوى وتفقده وناظرُ القلب لا يخلو من النظر

نم يا حبيبي في ضريحك مستريحاً بما اتيت من الحسنات والمبرّات ، تُطرب نومك اهادئ ملائك الجنّات والألسن تُردّد قول الشاعر :

عليك تحية الرحمان تترى برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

جبيل — دير سيدة المعونات في ١٨ ايار سنة ١٩٦٤

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

موجز حياة الاب مبارك ثابت اللبناني

وُلد في دير القمر لابويه المرحومين يوسف ابن دهام ثابت وكاترين ابنة لحود ابي شاكر سنة ١٨٧٥ . وفي ٣١ آب من هذه السنة قبل سر العماد المقدس في كنيسة مار عبدا دير القمر للرهبانية الحلبية المارونية ودعيَ : عبدو — طانيوس — قزحيا . وأطلق عليه اسم قزحيا لان والدته نذرته لهذا الدير المبارك .

وفي ايلول سنة ١٨٩١ لبّى دعوة الله لاختيار الحالة الرهبانية اذ كانت نفسه تتوّاقة اليها منذ نعومة اظفاره فتشرّف بالانضواء الى الرهبانية اللبنانية المارونية الجليلة وانخرط في سلك المبتدئين في دير مار موسى الحبشي بعبدات على غير رضا والديه واقربائه الذين كانوا يعالجون صرفه عن الترهب حتى بالتهديد. وانتهت مدة تجربة الابتداء فتقيّد بالنذور المقدسة على وجه التأبيد عن يد المغفور له الاب مبارك سلامه المتيني رئيس الرهبانية العام في ٢٦ تموز سنة ١٨٩٣ . وفي نهاية عام ١٩٠٠ رُسم كاهناً في دير سيدة بكركي بوضع يد السعيد الذكر المطران بولس عواد .

تلقّن القراءة والكتابة والحساب واصول اللغة العربية والقراءة الفرنسية في مدرسة راهبات القديس يوسف في مسقط رأسه من نسيبه المرحوم الاستاذ يوسف حبيب ثابت المحامي الشهير . ولما أوتيه من تأهب فطري ومن رغبة في التحصيل واكباب على الدرس ولا سيما استظهاره « كتاب مجمع البحرين » متناً وشرحاً لُقّب « بناصيف اليازجي » اسم مؤلف الكتاب رحمه الله . لبث سنتين في المدرسة لا يدع تلميذاً ينزع منه الأولية في اي درس . وكان استاذه يستعين به على تعليم المتأخرين عن كسل او قلة فهم . واحرز تفوقاً باهراً في علم الحساب ، فحل جميع مسائل كتاب « كشف الحجاب في علم الحساب » للمعلم بطرس البستاني المغفور له ، وجمعها في كراس كتب منه نسخاً بخطه وزّعها بين رفاقه في الصف فكانت لهم المفتاح لسر تلك المسائل المستعصية . فتحوّل حسدهم اياه الى محبة وشكر واعتبار . وكان هذا الكراس باكورة نتاج يراعه .

وبعد ترهّبه تلقّى السريانية ومبادئ الفرنسية في اديار رهبانيته . ثم دخل مدرسة الحكمة في بيروت مؤثرةً لفضل العناية بلغة الأعراب فأحكم درس العربية لغةً ونحواً وبياناً وشعراً وخطابةً على الاستاذين الكبيرين المغفور لهما الشيخ عبدالله البستاني والخوري نعمة الله باخوس ، والفرنسية الى الصف

الثاني . وتخرج بالدروس الكهنوتية في مدرسة الرهبانية في غوسطا (دير سيدة نسبيه) ودرّس العربية النحو والبيان والخطابة ست سنوات في مدرستي غوسطا ودير كفيفان الرهبانيتين. ثم سنتين في معهد اخوة المدارس المسيحية في حيفا وسنة في دير راهبات القديس كرلوس الالمانيات في المدينة المذكورة حيث احرز نصيباً من مبادئ لغة الالمان . ثم ست سنوات متتالية في مدرسة الاخوة المريميين في دير القمر.

تخرج عليه عدد من الأدباء وحملة الأقلام البارعين من رهبان وغيرهم منهم غبطة سيدنا وابينا مار بولس بطرس المعوشي بطريرك انطاكية وسائر المشرق . وكرم ملحم كرم . وله المقالات القيّمة من علمية ودينية واخلاقية وسياسية ووطنية . والروايات العديدة من اخبارية ومسرحية ، والمباحث المستملحة في شتى الشؤون . نُشر كثير من هذه المكتوبات في الصحف كالبشير والشعب النيوركيـــة وجريدة دير القمر والارزة والاصلاح ورسالة قلب يسوع ورسالة السلام ومجلتي المشرق والآثار الشرقية في بيروت ومجلة « الفصول » في الارجنتين وجريدتي فلسطين ورقيب صهيون ومجلة « الورود » الخ . فلاقت لدى الصحف والقراء حظوة وتقديرًا وترحيباً في كل عصر . ووافته لذلك عدة رسائل تشجيع وتحميد من بعض عشاق الادب وحملة الاقلام .

وفي ٨ حزيران سنة ١٩٢١ كتبت جريدة « الشعب » الصادرة في نيورك في عددها ٧١ ما يأتي : « نشرنا بالأمس مقالة لحضرة العالم الفاضل والكاتب البليغ الاب مبارك ثابت اللبناني رئيس دير بحنّين في لبنان . واليوم نشرنا له مقالةً أخرى بعنوان « المراقص » وهي مثل كل كتاباته المفيدة البليغة . وقد امتاز حضرته بما يكتبه في مواضيع ادبية اجتماعية وانتقادية يرمي من وراءها الى تعزيز الآداب الصحيحة والفضائل الشريفة وتقوية الروح الدينية التي هي ملاك الاخلاق الكريمة والمبادي القويمة . والذي يطالع جريدة «البشير» البيروتية الغرّاء يجدها على الغالب محليةً جيدها بفصول بليغة لحضرة الاب مبارك ثابت الذي شاء مراسلة « الشعب » بالمفيد من المباحث الادبية والاجتماعية والوطنية . فاهلاً وسهلاً به وبنفثات يراعه السيّال وبنات افكاره المحصّنات ...

بل ان الجريدة التي يكاتبها احرارنا في الوطن امثال داود بك عمون رئيس لجنة ادارة لبنان الكبير والاب مبارك ثابت اللبناني وغيرهما من كبار اهل العلم والفضل في عالمَي الدنيا والدين تكون نائلةً ثقة عقلاء الأمة واحرارها بالمعنى الذي ذكره الاب مبارك ثابت في مقالته : « من هو الرجل الحرّ ؟ »

o

الاشغال التي قام بها الاب مبارك ثابت بامر السلطة الجليلة في خدمة العلم والدين والادب

منها تدريس العربية مدة سبع سنوات لاخوته الرهبان المختارين للكهنوت المقدس في ديري غوسطا وكفيفان . ومنها القاء رياضات روحية في بعض الاديار والقرى. ومنها ادارة مدرسة بئر لُهيت والتدريس فيها سنة. ومنها تدريس العربية في حيفا ودير القمر تسعة اعوام .

ثم أسندت اليه رئاسة دير المخلص في بحنّين من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢١ . ثم رئاسة دير مار انطونيوس بيافا (فلسطين) من سنة ١٩٢١ فلم يقم فيها الا سنة واحدة ناله في اثنائها من اوجاع المعدة والامعاء ما يقصر عن بيانه القلم واللسان . واستعصى المرض على الطب واستنزف كل قوة البدن وألبسه نحولاً مخيفاً وظل المترجم رغم ذلك على نشاطه العقلي والروحي مواظباً على الوعظ والتعليم والقاء المحاضرات في مدارس المدينة والتدريب على التمثيل في المسارح وخطب التأبين في المآتم ومراسلات الصحف بالمقالات على عادته الى ان بلغ منه الضعف كل مبلغ وأحسّ بدنو الأجل فنظم قصيدته التوديعية التي مطلعها :

نحو لبنان المفدّى يا حمام طرْ وأقرئْ اهلَه مني السلام

ومنها :

فاذا طرت الى دير القمر منبت الآساد في مرج الرئام
حيّ اخوان الصفاء والوفاء بتحيّات المحبّ المستهام
واذا أدمع أمي انسكبت وشكت في قلبها وقع السهام
عزّها انّا قريباً نلتقي عند أم اللهْ في دار السلام

ومنها :

انتَ باب السعد مجلى النور لي منقذي من كل ظلم وانتقام
غرّدي يا نفسُ فزتِ بالمنى هوذا قد حان ان تُطوى الخيام
خطوةٌ ايضاً وانتِ في الحمى دفعةٌ يا موت ايضاً للامام

وعاده الدكتور جورج كورفي رئيس اطباء المستشفى الفرنسي الذي تولّى علاجه طيلة تسعة اشهر فلم ترضه حاله فاشار عليه بل اوجب عليه ان يعجّل قافلاً الى لبنان ويصطاف متنقلاً في جباله والا فلا رجاء له في الحياة فانتصح بنصيحة الطبيب وقفل راجعاً الى وطنه المحبوب.

ثم قلد رئاسة دير القديسة تقلا في وادي شحرور من ١٩٢٩ الى ١٩٣٢ . فرئاسة دير المخلص في البرامية اولاً من سنة ١٩٣٢ الى ١٩٣٨ . ثم من ايار ١٩٤٤ الى ١٩٥٠ ثم تجديداً من ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٥٠ .

٥

في شهر آذار سنة ١٩٢١ صار تكريس لبنان للقلب الاقدس فاقترح حضرة الاب مدير نشرة قلب يسوع في كلية القديس يوسف ببيروت على الكتبة انشاء مسابقتين موضوع احداهما « لبنان والقلب الاقدس » والأخرى « رواية دينية او ادبية لا تتجاوز عشر صفحات» ورتّب للمجلّي في الموضوع الاول جائزة قيمتها ١٢ ليرة لبنانية او نسخة من الكتاب المقدس بديعة التجليد . وفي المرضوع الآخر ٤ ليرات لبنانية . فكان السبق فيهما للاب مبارك ثابت فاكتفى بالكتاب المقدس وتخلّى عن قيمة الجائزة الثانية للقراء . أعلنت نتيجة المسابقتين في اول حزيران سنة ١٩٢١ .

سليم حبيب السويدي لبناني من قرية عارَي بقرب جزين مهاجر في البرازيل عرض في جريدة الارزة لغزاً في المرآة نظمه بالشعر العامي في آب سنة ١٩٢٣ طالباً حلّه مرتّباً عليه جائزة ارسال اعداد الارزة في سنة كاملة . فحلّه الاب مبارك ثابت وعالج حلّه آخرون فلم يهتدوا ونشرت الحلول في « الارزة » فكتبت السيدة اليس شمعة في ذات الجريدة تعرّض بهم قالت :

لغزك جانا من المهجر اليزبك ما قدر فسّرْ
والشدياق مثلو كان الغريّب صار يتحذّر

٥

ما بينفع كتر التحذير والكتسابة والتحرير
المرايه ما بدها تفسير وقاف قدّاما بتتذكّر

٥

سجّنجل إسما الاصلي أوعا تقول اصلي وفصلي
بلغتنا ما لها اصلي إقرا القاموس وتفكّر

٥

يونا ثابت يا مبارك مين بدو يشق غبارك
حلّيت اللغز قوام من الاول انت مبارك

في ١ ايلول سنة ١٩٢٣

ثم ان صاحب اللغز بعد وقوفه على حلول الأدباء سلّم الى « الارزة » منظومته الزجلية الآتية نشرتها في العدد ٣٨٦ في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ بعنوان : « جائزة حل اللغز » يناظا حضرة الاب المفضال مبارك ثابت الديراني قال :

تحفة اتتني بعـــد استنظارها عن بعد شاسع من وراء بحارها
تناولتهـــا وبالفخر استقبلتها وشكرت مرسلها ومنه قبلتها
ومن اسمهـــا عرفت منها شعارها
تناولتها وبالفخر استقبلتهـــا وشكرت مرسلها ومنه قبلتها
والحقيقـــة بوصفها قد قلتها انها « الارزه » وشهرتها غدت
تزداد بين اصحابها وانصارها
انها الارزه وشهرتها غدت تنمو واثواب البلاغة ارتدت
شكري لهامز دوج عمّا اوردت في حقولها من نظم اهل الاختبار
في الخصيصه وحلّهم اسرارها
في حقولها من نظم اهل الاختبار في الخصيصه وبرهنوا عن اقتدار
وبحيث صار الحل قيد الانتشار والخصيصه هي السجنجل ذاتها
احوجتني الحال الى اشهارها
والخصيصه هي السجنجل ذاتها والاب ثابت قد شرح حالاتها
اكتفي بتفسيره حلاتهـــا واهديه اعداد الجريدة عن رضا
واشكر نوابغ أمتي واحرارها
واهديه اعداد الجريده عن رضا مثلما وعدي سبق في ما مضى
وان جازاني اختصر قلت اقتضى تقديم شكري للذين قد فكّروا
في حل ألغازي وفي اظهارها
تقديم شكري للذين قد فكّروا واستحسنوا نظمي ومني تشكّروا
واسألهم بالله ان يتذكّروا ان المهاجر اين ما حلّ وقطن
يفتخر بامته وبكبارهـــا
ان المهاجر اين ما حلّ وقطن يفتخر بامتو ركن الوطن
ويفتخر برجالهـــا اهل الفطن لانه منهم ويرغب للابد
ان يشيّد اسمها وآثارها

الامضاء

سليم حبيب السويدي

كيف تعلّم السريانية

دخل الاب ثابت دير الابتداء وهو لا يعرف القراءة السريانية ولا حروفها المجائية فصُرّف في الخدمة الديرية . فتوسل الى احد الاخوة المبتدئين ليعلمه حروف التهجئة فتعلمها واخذ يقابلها بالفاظ كتاب القراءة السريانية فلم يمضِ شهر حتى صار يُحسن القراءة فوقف في القرّاية مع المصلين يصلي معهم. وسأله الرئيس عن ذلك فاخبره . فشجّعه واعطاه شحيمةً من مطبعة دير قزحيا واذن له بان يدرس كلما سنحت فرصة في الليل او في النهار .

ومن خلاله الكتابية الجديدة بالذكر انه اذا قبض القلم أحكم ضبط افكاره في موضوع الانشاء منصرفاً اليه بكل مشاعره فلا يؤثر عليه ولا يشوّش تفكيره ما يتفق ان يكون بقرب مكتبه من احاديث وقصّ روايات وضجّ وقهقهة حتى يقع له احياناً ان لا ينتبه لصوت جرس الكنيسة فيسأل بعد ذلك لماذا لم يُقرع الجرس وقد فاتت ساعته .

ومنها انه يكتب بضع ساعات على التتالي ولا يأخذه تعب ولا ملل . وادنى عدد لساعاته الكتابية عشر ساعات في اليوم . واذ يشتدّ عليه ألم المعدة يعالجه بصرف الانتباه اليه فيعمد الى القلم يكتب وعلى معدته كيس ماء حارّ لتخفيف الألم . وقد رُئيَ مرات يكتب وهو في سفر على ظهر دابة في مسالك موعرة في الجبال .

استعاض عما فاته من استكمال الدروس في المعاهد بكده ونشاطه وضنّه بالوقت واحيائه الليالي في التبحّر والتنقيب والتمرّس. واكثر ما تُكسب المهن بالمزاولة . فيصح في الاب ثابت انه ابن نفسه . وله ان يقول :

نفسُ عصامٍ سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والاقداما

الاب مبارك ثابت الديراني

الراهب اللبناني

١٨٧٥ – ١٩٦٤

٦٥٠

منتجات

قلم المغفور له الاب مبارك ثابت الديراني الراهب اللبناني

جدول الاسفار المطبوعة

١	تسبير بواعث التحيمة (الغرض الكيسوتي الماروني)	مثلاً من السريانية الى العربية مطبوعة على الجلاتين في مدرسة دير سيدة سبيه – غوسطا – في ٢٥ حزيران سنة ١٩٠٧ ٥١ صفحة
٢	رواية انتديس بولا وانطونيوس	تأليف – شعرية – تمثيلية .
٣	المعمودية في الدين المسيحي	تعريب عن الفرنسية – طبع حديثة ، بمطبعة الارزي ١٧٥ صفحة .
٤	الادب الرهباني والعالمي	تأليف باسلوب شائق وشامل . بمطبعة الاجتهاد ، بيروت سنة ١٩٢٠ ، في ٣٨٤ صفحة بقطع كبير .
٥	نبذة من كتاب دستور الرؤساء	تعريب في ٩٩ صفحة.
٦	كتاب التأملات اليومية في الحقائق المسيحية والاكليريكية	خمسة مجلدات في كل مجلد ٣٠٠ صفحة – تعريب بتصرف(١) .
٧	كتاب المباركيات	مجموع مقالات – تأليف – بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٢ في ١٥١ صفحة .
٨	تعليم التقوى للاولاد	تعريب في ٢١٠ صفحة . مطبعة الاجتهاد بيروت سنة ١٩٢١
٩	رديد العقل المستقيم	تعريب .
١٠	النسير	تأليف .
١١	مجموع اللآلي	تعريب عن الاصل السرياني نظماً ونثراً (الاصل مخطوطات قديمة لاكابر الكتبة السريان) في ٤٨ صفحة بقطع كبير – مطبعة الارز جونيه .
١٢	اقطع البراهين في صحة حقائق الدين	تعريب بتصرف واسع – المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩٢٥ في ٣٦٠ صفحة .

(١) المجلد الثاني طبع في سنة ١٩٢٢ بمطبعة الاجتهاد في بيروت في ٣٠٦ صفحات . المجلد الرابع طبع بمطبعة الرهبانية اللبنانية في بيروت سنة ١٩٦١ في ٣٣٥ صفحة . المجلد الخامس والاخير طبع بمطبعة صيدا في بيروت سنة ١٩٦٠ في ٣٣١ صفحة .

١٣	ترجمة راهبين الاب نعمة‌الله الكفري والاب اسطفان الكسليكي	تأليف بيروت، مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ في ١٦ صفحة .
١٤	مشهيات الوطن	محاضرة – تأليف .
١٥	اسبعة اسمائي	تأليف .
١٦	سنة في المطهر	تأليف
١٧	المسيحي في اسعاد الوطن	تأليف في ٢٠٠ صفحة
١٨	رواية الرحال الوائب	تعريب بتصرف – المطبعة الكاثوليكية .
١٩	رواية دير رخلي	تعريب بتصرف – انشاء رائع .
٢٠	رواية كهف الراهبة	تأليف دست الطائرة في سباق .
٢١	رواية فارس الكثيب	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٢	رواية عذريت الدمعات	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٣	رواية غي مار حرمس	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٤	رواية الامير بشير في دير بير	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٥	رواية حربة السيوط	تعريب .
٢٦	رواية الأم الذئبة	تأليف – بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤ في ٦٤ صفحة .
٢٧	رواية تبسمة ابن البكاء	تعريب بتصرف .
٢٨	رواية الغدر والوفاء	تعريب – بيروت – المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٢ في ١٢٨ صفحة .
٢٩	رواية كريمة اللبنانية في حوران	تأليف – تمثيلية .
٣٠	رواية من منهما اشقى	تعريب – تمثيلية .
٣١	كتاب قوة ومرور تتميمة تنقلا في وادي شحرور	تأليف – ترجمة القديسة وذكر النقرات الموضوعة بشفاعتها . في مقامها الجليل بالوادي .
٣٢	بضعة كتب من تأليف وتعريب طبعت باسماء آخرين	
٣٣	رواية الأميرة حيفاء وفخر الدين » «	تأليف نشرت في مجلة « المشرق » تباعاً ثم جمعت على حدة .
٣٤	رواية مارينوس راهب دير قنوبين	نشرت في مجلة المشرق » « ثم جمعت على حدة .
٣٥	القصوم	محاضرة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩٥٣ في ٢١ صفحة بقطع كبير .

جدول الكتب الموضوعة

بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني

وهي مخطوطات لم تُعرض بعد على المطبعة

١	حل « مسائل كشف الحجاب في علم الحساب »	تأليف (في عبد الطفولة) سنة ١٨٨٠
٢	كتاب صلوات (مجاز من السلطة العثمانية)	تأليف .
٣	مختصر تاريخ الرومانيين (للمدارس)	تعريب .
٤	الشر وكمالات الله	تعريب .
٥	كتاب « اتحامات عن الدين المسيحي » من اقوال الكثيرة	تعريب .
٦	الدين عند الشعوب المعرقة في الحداوة	تعريب .
٧	النابغة السمعاني	(حطاب في حملة الشمال) تأليف .
٨	رواية الملك آحاز	تأليف — مسرحية .
٩	رواية طاعة ابراهيم	تأليف — مسرحية
١٠	رواية القديسة تقلا أولى الشهيدات	تأليف — مسرحية .
١١	رواية ما حك جلدك مثل ظفرك	تأليف — مسرحية .
١٢	رواية المصور	تأليف — مسرحية .
١٣	رواية هند الغسانية	تأليف — مسرحية مفقودة .
١٤	رواية القديس ربشا (الكسيس)	تعريب — مسرحية .
١٥	رواية القديس اسطفانوس الشهيد	تأليف — مسرحية .
١٦	رواية العفاف	تأليف — مسرحية .
١٧	رواية (سوسنة الاسرائيلية)	تأليف — مسرحية .
١٨	رواية (عبوقة)	تأليف — مسرحية — هزلية .
١٩	رواية (ابو سلوم)	تأليف — مسرحية — هزلية .
٢٠	رواية الحماة والكنة	تأليف — مسرحية — هزلية .
٢١	رواية الشهيدة ماريا غورتي (المملكة قداستها حديثاً)	تأليف — مسرحية .
٢٢	رواية شاوول الاسرائيلي (اهتداه الى الدين المسيحي)	تأليف — مسرحية — خيالية .
٢٣	رواية (آلام السيد المسيح)	تأليف — مسرحية .
٢٤	رواية (عفة السيدة العذراء القديسة)	تأليف — مسرحية .
٢٥	رواية النبي ايليا التشبيي	تأليف — مسرحية .
٢٦	رواية (مهد الكنيسة) .	تأليف — مسرحية .
٢٧	رواية السامري الرحوم	تأليف — مسرحية .
٢٨	رواية (علم الانجيل)	تأليف — مسرحية .
٢٩	رواية (العشرة البرص)	تأليف — مسرحية .
٣٠	رواية (الوزنات الانجيلية)	تأليف — مسرحية .
٣١	رواية (مارينوس راهب قنوبين) (حوماريناالتي ترهب باسم مارينوس	تأليف — مسرحية .
٣٢	رواية (العذارى العشر)	تأليف — مسرحية .

٣٣ مقالات ورسائل ومباحث ونبذات متنوعة المواضيع محررة في اثني عشر مجلداً ضخماً بجانب ما ذكرناه في هذا الجدول .
٣٤ ثلاثة مجلدات مواعظ من تأليف وتعريب ألفي الكثير منها في شتى المناسبات وهي محفوظة كتذكرات يستعان بها على الوعظ والتأبين .
٣٥ مجلد واقع في ٣٦٠ صفحة مكتوبة بعنوان : (مذكرات الاب مبارك ثابت من كل واد عصا) .

من آثار قلم الاب مبارك ثابت

رأينا ان نذيّل كلمتنا هذه في الاب مبارك ثابت بضمة من آثار قلمه اي بعض رسائله الى الاب انطونيوس شبلي وهي صفحة بيانية رائعة تنمّ عن نفس كبيرة موسومة بطابع الدين والتقوى وعن ارجٍ وعبير وعمق في التفكير ورشاقة في التعبير . وها اننا ننشر منها اربعاً وثلاثين رسالة .

١

ابت الجليل العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

قبل ان آخذ في « الترجومة » على حسب العادة في تدبيج رسائل التهنئة وما الى ذلك . استغفرك ابطاني علّيك في إبلاغي الشكر لك لما اوليتني من الفرح والمعروف بالمراسلة المحبوبة اللطيفة في اعياد هذه السنة وما سبقها ممّا يزيدني ايقاناً بصدق مودتك الغالية ومحبتك الاخوية البالغة . لا غرو فانك مقيم في قلبي وعالم بما يكنّه لك من حب وتقدير يكبران وينميان على العمر ولا يحولان ولا يزولان ولا يقوى على ايهانهما وايقافهما شيء من عوامل الايهان والايقاف الا العامل الذي لا يمكن دفعه مفارقة الروح للجسد .

فثق ايها العزيز باني لك من اوفى الاخوة والاصدقاء ما دمت في قيد الحياة ولن يبرح قلبي ينبض بحبك وان نال من قلمي العجز احياناً عن تكوين الكلم وتقويم السطور ابداءً لما يستقرّ في الخاطر وتنطوي عليه الضلوع . ان لي بك وبتلمك وولائك ووفائك واخلاقك لفخراً عظيماً .

والآن ابادلك التهنئة بالاعياد المباركة التي اجتازت بنا صاحبةً اذيال البركة والحياة بنعمة صاحبها جلالة الملك الاعلى الجالس على العرش الازلي فوق كل ذي سلطان في اعالي السماوات وله تجثو كل ركبة مما في السماء وعلى الارض وفي اعماق الجحيم . اياه اسأل ان يزيدك فضلاً وفضيلةً وهناءً وخلوّ بالٍ

وصحةً وافيةً ونفعاً بعلمك وغيرتك الكهنوتية وسعيك المجاهد لخدمة الدين والبر والوطن مع العمر المديد والعيش الحميد .

تسألني عن صحتي واحوالي وعمّا اذا كانت الشيخوخة هي التي جعلتني اطلق القلم لانك ما عدتَ سمعت له صريرًا على ورق . فاعلم ايها الحبيب ان الشيخوخة منفردةً ما قدرت بعد على ان تنزعني صاحباً تعشقته منذ الصغر الى حد الهوس طول الايام ولم اوثر عليه صديقاً ولا سميرًا ولا جليساً ولا انيساً ولا لقيت منه مرةً الا التعزية وجلاء الغمّ والهمّ ونسيان كل ما يساور العقل والقلب من شؤون يقارنها شجون . بل اجد من نصيبي في عهد الشيخوخة ولعاً بالقلم لا قِبَل لي بالحد منه لو اردت . فاب الشكاية منها مقفل الى اليوم لا فُتِح . انما يكرهني على القائه الى حين تعاظم الاوجاع تأتمر عليّ وتعقد المخالفات وتكالبني مواتبةً من المعدة والامعاء والكلية والكبد لكنها لا تعبي حتى ينتهي زحفها الى القلب فيتمثل لي شبح الموت ولا تبقى فيّ روح ولا انامل تقوى على ضبط القلم . لذلك لم اعد اركضه الا في مجالات ضيّقة على قدر ما يتاح لي من هدوء الاوجاع . لست على ذلك بطّالا بل اشغالي اكثر من وقتي وقوتي : تهذيب مخطوطات وانشاء روايات ونسخ ما احذّبه من مسوّدات الى ما يتخلل ذلك من اشغال والحورية الخ .

ترجمة التذييلة تمثلا لم اعزم بعد على اخراجها بالطبع لما بي من تردد فاذا قيّض لي لقاؤك فسننظر في امرها معاً[1] .

مسودات التأملات اليومية التي عثرتَ عليها بين كتبي واوراقي في مدرستنا في بيروت ارغب اليك ان تحفظها لي وكذلك سائر المخطوطات سواء انشرت بالطبع أم لم تنشر ولا سيما اذا كان فيها احد الجزئين غير المطبوعين[2] لكن الغالب على ظني ان المجلدين الرابع والخامس من الكتاب لا يزالان عند حضرة الاب يوحنا (خليفه) مدير فقيدتنا العزيزة « الميناء » بدليل انه اخرج من احدهما بعض المقاطع في « الميناء » عهد حياتها .

ومن نكد الطالع اني اردت ان استردها إبّان الرياضة في دير سيدة المعونات (جبيل) فلم اظفر بلقياه وكان وقتي أضيق من ان أتبعه الى مينوق وحوب . وسأكتب له ولقدس الاب العام الكلي الاحترام . فاتّى لي غرق الكتابين حتى في (« الميناء » فما حيلتي وقليل الحظ لم يُلَم .

---

(١) طبعت .

(٢) ان الجزئين اللذين يشير اليهما هما الرابع والخامس من التأملات اليومية وقد طبعا بعدئذ.

لك الشكر على ما تفضلت به من تعزيتي بالمرحومة شقيقتي . لا رُزئت بمحبوب ! ان تعزيتي الراهنة ببقائك لي اخاً وفياً أرأف بي واعطف عليّ واعز عليّ . وباعتقادي ان روحها الطاهرة المتمتعة اليوم بالحظوة لدى خالقها المثيب لا تنفك تشفع فيّ وفي احبائي ما دمت الى شفاعتها باحتياج .

ان اشتياقي اليك غير خفي عنك فلا تصرم حبل التراسل . رزقت لقاءك .

عن البرامية — في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٥٠

اخوك

القس مبارك ثابت

لبناني

٢

ابت العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

قبلة محبة واشتياق وسلام .

اني مرسل اليك رواية « الاميرة هيفاء » منسوخة عن مسودة شبه مبيضة كانت لديّ بخط واضح على قدر ما وُفّقت اليه من مطاوعة الانامل وقوة النظر وضبط الافكار وصقالة الورق وجودة الحبر وحكمي في ذلك كله انه دون ما يُتوقّع من تمام ورواء . ما أصنع برأسي شاخ وهرم وذهن جاوره الذهول والنسيان وفكر يكاد لا يضبط على صفحة وربما على سطر حتى يصطدم بمحدّث او لاهٍ او قصاص او طالب حاجة مما تقتضيه خدمة الرعية ولياقة الصداقة وواجبات الكنيسة واشغال الدير حتى المكنسة والقدر والموقدة والصحون لذلك لزم ما تراه من تغاير في شكل الورق وقطعه ومن ضرب وشحط على بعض الكلم او الجمل ومن كتابة على الهامش ومن ومن ... ولزم في الاكثر ان تكلّف نفسك المحبة بقراءة الرواية برويّة وإمعان حتى اذا وقع نظرك الواعي على عثرة في المباني او المعاني او على ركاكة او سهو تسد الخلل بسداد رأيك واصابة نظرك وبراعة قلمك تحصيناً لمواطن النقد والتنديد فانت الكفيل بتقلم اخيك كما باخيك .

هدفي من وضع الرواية لا تمتيع القراء باحداث روائية فحسب بل في الاخص ايقافهم على تاريخ الامراء المعنيين ولا سيما ابعدهم شهرة فخر الدين الثاني الملقب بالكبير وعلى احوال السياسة بلبنان في عهده المجيد . فاستيفاء للغرض لم اجد مندوحة لتحامي الاخلال في المتن والتذييل بالحواشي . فان كان كذلك ما يُستغنى عنه او ما يُجلب الملل ، فلك ملء الحرية في الحذف

والاضافة والتغيير والتبديل والتنقية وسلّح التافه حتى يصير مصلحاً على ذوقك السليم[1].

اذا لم يتيسر نشرها بالطبع فلا فضلك ضائع ولا تعبي فان التقصد جدير بالشكر وان خانه الفلاح. لكنني اسألك الاحتفاظ بالنسخة على ما عودتني من فضلك وغيرتك بغير سوأل. وان كان لك شيء من الوقت فكلمة للاخشاد اليك الى مَن لا يفارق الشوق قلبه والثناء لسانه.

عن البراميه — ٨ ايار سنة ١٩٥١

اخيك الى المنتهى
القس مبارك تابت
لبناني

٣

أبتِ العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

منذ ان انتهى اليَّ كتابك الصادر في ١٤ تموز بدرتُ الى تنظيم جدول لاسماء كتبي المطبوعة وآخر لمؤلفاتي المخطوطة التي لم تبرح ابواب الطبع موصدةً في وجهها. لكنها محفوظة في مأمن من التلف وكلا الجدولين مقرون بهذه الرسالة ليتشرف بنظرك الكريم اسوةً بنبذة موجزة في ترجمتي على حسب ما أردت. ولم أغفل تسمية الجرائد والمجلات التي تكرّمت بنشر مقالاتي ان في الوطن او في المهجر واكثرهن فضلاً عليَّ جريدة «البشير» التي نشرت لي ما عدا المقالات الضافية عدداً كبيراً من الروايات الاخبارية ثم أخرجتها كتباً للمطالعة كرواية الرجل الواقف؛ ودَين محلّي؛ وكهوف البراهمة؛ ونزهة القراء؛ والغدر والوفاء الخ... وكتاب ردود العقل المستقيم؛ وكتاب «اقطع البراهين في صحة حقائق الدين» وعدد صفحاته ٣٦٠ صفحة. وربما كتبت قليلاً في مجلة «المشرق» لكن ذلك غائب عن ذهني فلم اخص المشرق في اعداد الصحف التي راسلت[2].

(١) بقيت هذه الرواية البديعة كما صدرت من قلم مؤلفها البارع محتالة في مطارفها، لا تغيير فيها ولا تبديل. نسخها الاب شبلي بخط واضح ووقف على طبعها في مجلة «المشرق» ثم جمعت على حدة.

(٢) اضفنا مجلة «المشرق» الى الصحف والمجلات التي راسلها. وله بحث فيها في اصل حروف القسم وياء المتكلم واللام الجارة (المشرق ٤: ٢٨). ونشرنا له فيها رواية ماريتيس راهب قنوبين ورواية الاميرة هيفاء وفخر الدين كما ذكرنا. واضفنا ايضاً الى المجلات التي راسلها مجلة «الورود» وله فيها قصة واقعية رواية حقيقية جميلة.

رواية « الاميرة هيفاء وفخر الدين » ألوم نفسي لقلة اكتراثي لأمر الصراحة في كتابتها فقد حففت التعب عن نفسي واوجبته عليك وكنت انا الأولى بحمله فاغتفر لي هذا التثقيل الذي لم اتعمده ولم انتبه لمغبته . على ان المحبة تستخف الثقل والمنّة تعظم على قدر تكاليفها ...

سعيك الحثيث لتقليدي وسام المعارف لا يزيدني اقتناعاً بصدق محبتك اعجاباً واستزارها فاني على يقين من انك تحبني اكثر مما احب نفسي لا اقول اكثر مما احبك لئلا اخون قلبي وشعوري : بل اقول ان محبتك افعل من محبتي لانك اعظم جرأةً وأشد أقداماً وانفذ كلاماً واكثر معارف واصدقاء وأزيد اتصالاً واندماجاً بالرجال وابرع حيلةً في استمالة النفوس واستلال الاغراض من مضاربي الصدور . ولذلك انت انفع لي مني لك . وان تساوينا محبة واستمكاناً في عهود الاخاء والولاء والوفاء . فسيبقى لك الفضل على اخيك مدى العمر . وابقى مستعدّاً لخدمتك في ما تحبه واستطيعه .

ثق ان الوسام الذي تسعى له لن يكون ، اذا حصل ، الا فضلةً في نظري بالاضافة الى الوسام المجيد اللامع الذي تعلقه بصدري وذهني ويزداد لمعاناً على الايام وتتجدد حفلة اقراحه كلما خطرت في بالي وانت فيه حاضر كل حين : ألا وهو وسام محبتك الكاملة التي لم أرَ لها مثلاً في النقاوة والحرارة والفاعلية في مَن آخيت وصادقت وخدمت مسافة الحياة : هذا هو الوسام الذي افتخر به وأسبل منه حجاباً على صداقات ماكرة ممارية عائبة متلونة كالحرباء روّاغة كالثعالب . وآمن من جوارها جوار العقارب[1] .

ابقاك الله مثالاً للاخوّة البارة والصداقة الراسخة والمروءة الكاملة وزاد في فضيلتك وفضلك وادبك وسخاء نفسك بالمعروف . ولا كنت الا لامعاً محبوباً غنياً بخفة الروح ورزانة الحصاة وبعد الصيت . لا قدرة لي على مكافأتك ولا اشتهي ان تحصل لي القدرة ليبقى لك الفضل ديناً على اخيك وتكون المكافأة من شهادة ضميرك ومن الله تعالى الذي لا يضيع عنده العرف وجزاؤه اعظم واوفى وأبقى على قدر عدله وكرمه .

وقلتَ في كلامك عن نشر « الاميرة هيفاء وفخر الدين » انك فضّلت المشرق على الورود لاجل هذا السبب : وقلت : « فكأنني فضّلتكم على نفسي » فلو قلتَ : « انني » مكان « كأنني » لمّا كنتَ مخطئاً ، لان المحبة

---

(١) ينبغي للعاقل ان يتخير الناس لمودته كما يتخير الاراضي الزاكية لزرعه . (افلاطون) .

لا تطلب ما لها بل ما للمحبوب . فلله ما أكملها وما اعظمها متى انتهت الى هذه المنزلة من الايثار والبذل والسخاء .

ثقتي بك اكبر من ثقتي بنفسي فكل مكتوباتي وانا نفسي قيد نظرك وحكمك . فاحذف وأضف وغيّر وبدّل على ما يحسن في ذوقك السليم . وها قد جعلت بين يديك مادةً كافيةً لانشاء تأبين لي بعد الوفاة . اطال الله عمرك وانعش روحي بطيب نسمات يراعك الناعمة حياً وميتاً .

في الختام تعانق قلبينا المتوائمين وتقبيلة حارة في جبينك العالي من

اخيك

مبارك ثابت

لبناني

عن البرامية في ٣٠ تموز سنة ١٩٥١

صح الحلم وانعمت الحكومة اللبنانية على الاب مبارك ثابت بوسام المعارف من الدرجة الاولى لانصرافه الى التعليم والتأليف . فأقيمت له حفلة ادبية تكريمية في ديرنا الروح القدس في الكسليك صربا بعد ظهر الاحد الواقع في الرابع من تشرين الثاني سنة ١٩٥١ تكلم فيها الخطباء الدكتور وليم نعمه والاستاذ ميشال الجاهل والاستاذ كرم ملحم كرم وكلهم من تلامذة الاب المحتفى به. ثم تكلم الوزير اميل لحود واناط الوسام بصدر الاب ثابت الذي القى في الختام خطاباً رائعاً . ووزع على الحضور كراساً مطبوعاً يتضمن اسماء مؤلفاته .

٤

ابتِ الحبيب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الإحترام

بارك الله قلمك وزاده خصباً ودماغك وزاده فيض افكار رائقة وشائقة .

تسلمت كتابك الصادر بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني حاملاً اليّ من اخبار سلامتك وتفاصيل سيرك المبارك ناشرًا اشعة الارشاد والهداية[1] منتقلاً من برج الى برج واعدًا ان تحل في برج البرامية تطبيباً لنفس اخيك الثائقة الى لقائك في اي برج احلّ شخصك المحبوب المضيء . فشكرًا لك على ما تمتعني به من لذات حبك وبراعة قلمك وظرفك المشوّق واديبك الجمّ ؛ وشكرًا لله الذي جمّلك بصفاء النفس وعلوّ الخلق ورقة العاطفة ووهبني اياك اخاً وصديقاً وشدني اليه بامتن روابط المحبة والاخاء .

(١) كنت ألقي الرياضات الروحية في قرى ابرشية بيروت منتقلاً من قرية الى أخرى .

ان البيت الخامس من قصيدة « نحو لبنان المفدّى يا حمام » الذي اتاك صدوراً بلا عجز لا اسمّي نقصانه سهواً وان كانه لان فيه الاشارة الى ان حظك من اخيك وانك صدر في صدره وفي اعتباره واعتقاده وعلى بقائك في هذه المنزلة ابعث اليك بالشطر المفقود كله او بعضه وهو هذا : « يندبوا روحاً على الميثاق قام » وان شئتَ : « يعرفوا » مكان « يندبوا » فاكتب ما تشاء .

واما البيت المبدوء « بحيث لا بغضٌ » فوضعك فيه افضل من وضعي لقولك :

« حيث لا مَينٌ ولا مكرٌ ولا حسدٌ لا بغضة لا انقسام »

غير ان القول : ولا انقسام . لا احلال فيه بالوزن ولا بالمعنى[1] .

ان قدس الاب العام السامي الاحترام كتب لي انه في التاسع من الشهر الحالي تباشر رياضة روحية لرؤساء الاديار في دير سيدة المعونات ويرغب اليّ الا اتخلّف عن حضورها فتلبيةً لرغبته ساتوجه الى الدير المذكور في مبتدإ الاسبوع القادم فعسى ان يسعدني الحظ بلقائك ساعةً هناك .

وان قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنوري قد تلطّف ووجّه اليّ مكتوب تهنئة بالوسام وذيّله بما حرفيته : « بلّغوا تمنياتي القلبية وتشكراتي الاخوية لحضرة اخيكم الحبيب الاب انطونيوس شبلي المخلص لكم ولنا »[2] .

الا بماذا اكافئ هذا الاخ الحبيب المخلص لي ولقدس الآباتي التدبس ابضمّة الى صدر اخيه ومحبه المخلص .

الاب مبارك ثابت
لبناني

عن البرامية — في ٥ كانون الاول سنة ١٩٥١

٥

ابت العزيز فوق كل عزيز انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

لا تحسب حبس المكاتبة من شهر او يزيد نسياً او تهاوناً او اغفالاً . فانت في الذهن وفي القلب وفي الروح في المكان الارفع . استجزت وقف القلم هذه المدة الطويلة لثلاثة : اولها الطمع في حلمك ، وثانيها تعليل النفس بقدومك استناداً الى وعدك ، وثالثها اشتغالي بمناجزة كرب ألمّ بي شديد الوطأة تناصته

(١) ان القصيدة المذكورة هي للاب ثابت .
(٢) كتب الاب شبلي الى قدس الآباتي داغر يعلمه بحصول الاب ثابت على وسام المعارف فأنفذ اليه رسالة تهنئة .

والاخ الياس رفيقي ومعاوني الاوحد في الدير . فكان نصيبي ألماً مبرّحاً وملازماً في المعدة والقلب والصدر بكامله . ما خلا الرئتين . كأن في قفص الصدر خياطاً يدرز في اللحم والاعصاب بالة ذات مئات من الابر لا يناله تعب ولا يأخذه ملل ولا نوم ولا ونىً من ٢٥ كانون الثاني الى ٢٥ شباط تخللها فترات راحة وسكون بضع ساعات في اليوم . ولم يقرّ رأي الطبيب على ماهية العلة وموضعها الا ما كان من قبيل الظن المترجرج انها هي القرحة وفي المعدة ، وهو في نظري وشعوري رأي مخطئ لان مثل ذلك الألم عُرِفته منذ عشرات السنين . يلذه النزول ضيفاً عليّ كل سنتين او ثلاث فلو كان قرحةً لانكشف أمره ولا سيما بالتصوير مرات . ارى ان حكمي فيه اصحّ وهو ان يكون اثرًا لظطاري تقادم عهده الى عسر مضم يثيران المجموع العصبي ويرسلان ريحاً في الاعصاب لا تملك دفعها ولا تطيق عصفها فلا تذوق طعم الراحة حتى ينقطع مهب تلك الريح بعد مناجزة ناهكة .

وها انا اليوم بقوة الله وفضل العلاجات والمسكّنات وذهاب شباط بعد يأسه من الغنيمة قد عدت الى مقعدي لدى المكتب في سبيل التجريب واستعدت القلم فكانت اولى جولاته جبهة الحبيب .

اما الاخ الياس فكان نصيبه اوفى . سئمت صحته جورَه عليها وازدراءه بها بما كلفها من حمل القهوة والتدخين ما لا تطيق :

ولا يقيم على ضيم ألمّ به الا الأذلان عيرُ الحيّ والوتد

والسيدة الصحة ليست من قبيلة الاذلّين فحردت وحرنت ثم نفرت وألقت حملها والجلال معاً واوسعت في فلوات الهجر بعد ان اوسعته رفساً ووثباً ونهشاً وعركاً وخلّته واهن القوة ضيّق الصدر عميق السعال متورّم الساقين (وما بينهما) من اسفل البطن الى اطراف القدمين فقط ! استدعينا له الطبيب فوجد عنده تنفخاً في القلب وزلالا في النفضلة الرقيقة وتعبا في الرئتين بقية نزلة ذات الرئة كادت تقربه من تخوم الاجل في السنة الماضية لولا التنطس في علاجه والتحصّن بالحمية من ثلاثة اعداء مواثبين : البن والتبغ والبطنة . فجاء حكم الطبيب هذه المرة ان الوعكة قاسية والخطر قريب والشفاء لا يحصل الا بملازمته السرير لا ينزل عنه ولا لقضاء اية حاجة طبيعية ، مع تناول العلاجات المتنوعة الى طلاق القهوة والسيغارة . الاولى الى زمن والثانية على وجه التأبيد ، وقصر الغذاء على الحليب والفواكه وقليل من الخضر المسلوقة الى ان يتمّ له الشفاء .

أقعده الداء المثلّث او المربّع منذ ٢٧ كانون الثاني وليس لخدمته سواي

وكلانا ضعيف فكانت خدمتي له مسافة اسبوعين مرضاً لي على مرضي . لكنه نهض من كبوته منذ اسبوعين واصبح عن خدمتي بغنيً . ومنذ اسبوع فقط استأنف اعماله في الدير لا كلها بل الهيّن منها . فنفّس عني والحمد لله . ويزيد لنا في الطين بلةً اثناء مرضنا ان كثرت عندنا الضيوف وفيهم الضيفن[1] الذي لا يرتوي من صحبتنا والاقامة معنا الاسبوع والاسبوعين فكنت اعتذر لهم واكلفّهم القيام بخدمة انفسهم حتى باعداد الطعام لهم ولنا فلا يتذمرون .

اسهبت وانا لا اشفق عليك من الملل لانك محب والمحبة ترتاح الى الاسهاب ولا يدانيها الملل . ولي ايضاً كلام وجيز اختم به هذا الكتاب الطويل اسوقه اعتماداً على المثل اللبناني : «مَن شرب النهر لا يغصّ بالساقية» الكلام شكر لمحبتك الصادقة على ما تكرمت بنشره في مجلة «الورود» المطبقة اجواء الادب بروائح الورود «الشبلية» الفواحة : ولمودة الشقيق البديع الناسج على منوالك في صفاء النفس وحلاوة الشمائل وعلوّ الاخلاق واستكمال الكياسة والظرف والتبرّع بالولاء .

فاتك في حفلة النيشان ان تلقي دلوك بين الدلاء فأبى قلبك المحب الا ان يبرز درّه النفيس بالقلم الغوّاص على بساط القرطاس في الورود المشرقة . فأفضت ووفّيتَ وحلّقتَ وجلّيتَ وفتّتَ ولم يلحق لقلمك غبار[2] . دريتَ ان اخية تجعل من المتحابّين واحداً[3] فصح لك ما رسمته في مقالك الجميل من صورة تمثل نفسك ومحامدها لا محامد ونفس اخيك ، لا في رأيتها اصدق عليك منها عليّ . ولستَ مؤاخذاً بهذا السبب الذي ذكرت . غير اني لا اكتمك اني اخذت عليك خطأ في امر كان يجمل بك النظر اليه تلافياً لعناء ربما لن تجد بدّاً من معاناته يوم يوافيني الاجل وتبعثك الاخوّة الآسفة على التأبين لفظاً او كتابةً . فماذا تقول خطيباً او كاتباً بعد ما قلته في نشرة «الورود» وانت لم تدع سبيلاً لكاتب او خطيب الى المزيد عليه ؟ وقد لا يكون لك متسع من الوقت للغوص وراء الافكار الجديدة والتعابير الوافية لا بحقي الذي وفّيته وأضفيت بل بحق محبتك المرزوءة وبلاغتك المحسودة .

(١) الضيفن : من يجيء مع الضيف متطفلاً . معجم «محيط المحيط» .

(٢) ان كاتب هذه السطور الاب شبلي لما لم يستطع حضور حفلة تعليق اليسام للاب ثابت كتب عنه مقالاً مستطاباً في مجلة «الورود» لصاحبها شقيقه بديع شبلي ، ذلك ما يشير اليه صاحب هذه الرسالة (راجع «الورود» شباط سنة ١٩٥٢ السنة الخامسة الجزء السادس صفحة ٨) .

(٣) الصديق هو الروح الواحدة التي تسكن جسمين (ارسطو) .

ما لي اشفق عليك من الظهور في ذلك الميدان وقد اوتيت جعبةً سهامها الذهبية لا تنفد ولجّةً درّها النفيس لا ينتقص وخزانةً جواهرها الغالية لا تنفك تتلد وتتجدد . فابذل وانفق ما شئت . ان ما أوتيته من فضل وادب لهو اكثر من ان ينفد على البذل والانفاق .

تقبيلةً حارّة على جبينك العالي المشرق . وسهم دعاء مرشوق الى السماء لاطالة عمرك وادامة فضلك . فاسلم مجمّلاً بالكرامة متمتعاً بالصحة ورخاء العيش يا من تحلّ المحلّ الارفع من فؤاد واعتبار .

عن دير البرامية — في اول آذار سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٦

الى حضرة الجليل الفاضل عملاً وقلماً ولساناً الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام، من اخيه المحبّ المخلص الاب مبارك ثابت لبناني تحيّة واشتياق.

ايها الاب المحبوب

جمعت بيني وبينك وحدة الحالة والروح والعاطفة فكلانا واحد وعندي لك مثل ما عندك لي . لكنّك الى المبادرة بالفضل اسبق . وهذا يزيد في محبتي وسروري وافتخاري. أاقول : وفي حسدي ايضاً ! أجل لو كان للانسان ان يحسد نفسهُ لقلتُ . صدّرت رسالتك المذيّلة بتاريخ اول كانون الاول الجاري بأنك تأخرتَ عن مكاتبتي لمباشرتك الرياضات في قرى الشوف في اواخر آب الماضي . عذرٌ تقبّلتهُ بالرضا والسرور لكن قبل قراءتي ما عطفت على مبتدأ كلامك من خبر مرض السكّر واشتداد وطأتهِ عليك . فلما قرأتُ عطفك المذكور خنق البكاء صوتي وغشّى الدمع على ناظريّ وتوقفتُ مرغماً وقال الاخ الياس ما هذا المكتوب الذي يبكيك ؟ فلم احر جواباً . ثمّ غالبتُ العاطفة بكرة جريئة وعدتُ اتأمل الرسالة فما عثرتُ فيها على منشئها بل على نفسي في كلّ من سطورها وفقراتها كأنما المحبوب نسيَ ذاتهُ ليذكرني فاستقللتُ البكاء للوفاء .

تأخرتَ عن المكاتبة فأدليتَ بعذرك وتأخرتُ انا ايضاً فما عذري ؟ أاني نسيتك ؟ انت لا تصدّق هذا وانا لو قلتهُ لَمَا صدقتُ . انهُ لعذرٌ اقبح من الذنب . ويح الحرم انهُ غير الشباب . يوهن العزم ويُذهب بالنشاط ويرفع في الحيرة على ابواب العمل . فالاشتغال بالحاضر من الشؤون ومن مقتضيات الواجب واللياقة وادب الاجتماع يُزيّن لي التسويف الذي لا أسلم معهُ من

الإخاء باللزم على نفسي . ثمّ لا البث ان انصرف لمواجهة او قضاء امر واقول : ان المحبوب سيكتب لي . انهُ لا ينساني كما لا أنساهُ ومن شيمته السماعُ والسبقُ الى المعروف ومن شيمتي ايثارُ سبقه بالجميل .

حصل لي شيء من هدوء البال بقولك انك اخذت تتسلّح بالوقاية ردًّا لهجة السكّر العدوّ اللدود واخماد الفورة عتوّه الحامية. ورأيي ان الوقاية بالحمية من بعض اصناف الغذاء اذا عُزّزت بالانسولين توقف وثبة السكّر المؤذية الاّ اذا كان لهُ حليفٌ من الزلال . ففي حال التحالف لا بدّ لاضعاف القوّتين من الحمية وراحة البدن معاً والاّ جاز الشكّ في الظفر على مرّضين وقد قيل: وضعيفان يغلبان قوياً. فكيف بقويين لضعيف. فيجمل بك ان تخلّي الرياضات وتريح جسمك وقلبك ردحاً من الدهر جالساً لمكتبتك الغنيّة تقتطف من ثمارها اليانعة كلّ حلو ولذيذ وتُخرج من ذخائرها الجديد والقديم قانعاً بتسلياتها العذبة الى ان يمنّ الله عليك بالشفاء .

لقد عملتَ في كرم الرب وفي حقل الانسانية والادب عملاً رابحاً لك في السماء وعلى الارض من هديٍ الى البرّ يسوق الى التوبة وتهذيب وتثقيف بالقول والمثل والقلم ولو لم يكن من مجمّل لصيتك ومعلٍ لقدرك غير كتابك — الاب شربل — لكفاك فخراً وأجراً . انهُ لسفرٌ جليلٌ قرنتَ به اسمك باسم شربل بسلسلة البقاء الذهبية مجداً للرهبانية والفضيلة والتاريخ ولبنان . فاهنئك شاكراً لك على هديتك النفيسة .

ما اجمل وما احبّ ان يجتمع المتحابّان . ان تطوي فصلَي الشتاء والربيع في دير البرامية فتطيب بقربك نفس اخيك وثمّ بساتين الليمون تمتّع بهما ذوقك وناظريك وتملأ من اطياب ازهارها انفك ورئتيك . والطريق الى بيروت قصيرة ورخيصة . وكلام الله تلقيه في كنيسة الرعية ايام الآحاد يُلتقف من فيك باصغاءٍ ونَهَم .

واسباب التسلية متوفرة والطبيب رهنُ الاشارة وصديق لنا وفيّ ودود . واجرتهُ ان لا تتردد في استقدامه او في زيارته بصيدا كلما عرضتنا حاجة اليه ان في النهار او في الليل . وتهلّل وجهه عند اللقاء ان لم يكشف المرضَ فلا اقلّ من ان يُذهل المريضَ عن الالم . واللبن والحليب واللحوم لوازم الحمية سهلة المنال . وانت علينا اخفّ من النسيم ومن الروح. والذي أشبع الوفاً من خلقه بقليل من الخبز والسمك هو جارنا ومساكننا الشريف. وباب رحمته وسخائه مفتوحٌ لخدمه على مصراعيه . حبذا ان لا تحرمنا لقاء نشتهيه .

تجد في طي هذا المكتوب الخطاب: الدين عند الشعوب المفرقة في البداوة

او المتوحشة . وكنتُ قد عرّبتُ الكتاب الافرنسي الذي اختصتَ منهُ الخطاب وحفظتُ المسودة لابيضها وقت يتيسّر طبعها فاختبأت ولا تزال مختبئة ومخبأها مجهول . أمّا الخطاب — فخر الدين المعني — فوجدتهُ مبيّضاً لكنّهُ مقطوع الرأس والذنب. خمس صفحات ساقطة من صدره وستّ من عجزه . بحثتُ عن المسودة فلم اعثر عليها لعلّي مزقتها يوم ولادتها اكتفاء بالمبيّضة ثمّ ضاع من هذه ما ذكرتهُ من الصفحات بعد القاء الخطاب في صيدا اذ فاجأتني الشدائد القلبية المرهقة فاضاعت رشدي وكل امل لي بالحياة . وها انا اليوم اجهد الذاكرة واوقظ الذهن لاذكر المنهل الذي استقيتُ منه الخطاب اي المسودة والمراجع لكي أردّم ما تهدّم فلا اهتدي الى الغرض الاّ كما يهتدي الضرير الى ابرةٍ سقطت في غدير ماء . كتبي متفرقة في اماكن شتّى زهدني فيها شبحُ الموت عام ١٩٣٣ فسطت على اكثرها ايدي البلى والضياع وألسنُ اللهيب. وما سلم منها لا اعلمهُ ولا في اي اسر هو فافتديه .

من الآن الى ان يتاح لنا اللقاء لا تحبس عني اخبارك وانت ادرى بشوقي اليها كل وقت ولا سيما بعدما اخبرتني من تضافر مرضين على صحتك الغالية . شفيتَ باذن الله ...

تسألني عن صحتي . ردّ عليك ما خاس من صحتك طفافاً . سل الثمانين وجاوزتها الى المئة تنبئك ما كاملها من شؤون . غير اني احمدُ الله في ثمانيني لانها تحمل لي من رفقها بي ما يباعد خوفها عني ويجمّل صورتها في عيني . ويؤملني بعفوٍ من الله انهُ السيد العادل الرحيم. اجل! ان قواي آخذة في البري تحت مبرد الثمانين لكنّ اوجاعي معها اخفّ منها في عهد الشباب. حسبي من احسانها بنعمة الله أن لم أحرم الشعور بلذّة محبتك ومودتك واشعاع فضلك وعلمك يا حبيب .

عن البرامیه — في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٧

اخي الحبيب وصديقي الوفي وابا الفكر والكلمة والقلم الاب انطونيوس
شبلي الوافر الاحترام

انت مني بمكان السمع والبصر والروح . وقبل كل صاحب وعزيز وسمير . وانا لا اجهل مكاني من نفسك لانك قد اعطيتني الف دليل . فكلانا عالم بما عند اخيه ، وكلانا في المحبة متكافئان . ماذا اكتب لك معايدة بهذا الفصح المبارك ؟ الستَ عالماً بما اتمناه لك ؟ او لستَ افصح مني منطقاً وابلغ تعبيراً فأوفِ نفسك حقها عني ودعني اناجي الله سبحانه من اعماق النفس في الخلوة والهدوء استمد لك من جوده ما يشتهيه قلبك من خير وما تستحقه فضائلك ومناقبك .

مقالة اليزبدية التي تكرمت باهدائها اليَّ تلقيتها بالشكر وطبت بمطالعتها نفساً لمّا علق بها من افكار المحبوب وفوح المسك المنطلق من قلمه المخصاب حياةً وانتعاشاً للنفوس .

اين انت اليوم ؟ ومتى تستريح وقتاً من تعب الالقاء[1] وقد تقضت اسابيع الصوم وذهب فصل الشتاء ونصف فصل الربيع افلا تمتعني بلقياك اسبوعاً واحداً تصرفه في البرامية حيث المشاهد الفاتنة والروائح الذكية خضرة البساتين وزرقة البحر : انهما بحران متجاوران احدهما مائع والآخر جامد وعلى ظهره ملاوين من شجر الليمون والاكيدني . وان شئت اجرةً للاجابة بالرضا فهذه تقيلة حبّ واشتياق في جبينك العالي في ختام المكتوب من فؤاد

عن البرامية في ١٢ نيسان سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٨

ايت الجليل واخي الحبيب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

اشتياق الى رؤياك ... كيف انت واين انت وما انت والكدّر عدوك الذي يقض مضجعي ؛ ويؤلمني ان لا يكون بوسعي رد هجمته العادية عليك .

(١) اي القاء الرياضات الروحية .

عسى الله لا يردّ صلاتي ولا يخيّب رجائي اني متوسل الى رأفتـه بكل ما استطيعه من ايمان ورجاء . اني موقن بشفائك على قدر ركوني الى استجابة صلاة حارة تصعد الى عرش رحمته من الاعماق .

وانت تعلم ان الله الذي اوجد العلل أوجد بازائها الادوية لقهرها بالمعالجة . وانا عرفت بعضاً من اصحاب السكر احرزوا الشفاء منه بالوقاية ولاسيما بالحمية من كل طعام يتحوّل كله او بعضه الى سكر وباستعمال الادوية الموقفة سيره اخصها او قواها الانسولين مداوياً عليه . فانك ان تذرّعت بهاتين الوسيلتين وقاتلتَ بهذين السلاحين لا تبطؤ ان تحرز الظفر المنشود . واعتقادي ان السلاحين ميسوران لك والنصر مضمون باذن الله وبالتوكل عليه . فاتبع الراحة والسلامة بالحرمان من بعض لذات الغذاء واجعل لحرمانك ثمناً آخر روحياً ببيعه من المسيح الرب الذي آثر الحرمان والألم تجد السبيل الى الشفاء سهلاً لا شائكاً ولا وعراً .

في الاسبوع الفائت اتتني صرة مطبوعات مضمونة في البريد هي ٢٣ نسخة من خطاب الصوم[1] وخمس نسخ من مجلة « المشرق » خامسها لشهري آذار ونيسان فتلقيتها بالشكر اولا لك لانها من فضلك ومحبتك واهتمامك الاخوي. وثانياً لادارة المجلة التي تقدر مكانتك وتجيب بالتلبية مطالبك .

لقيني شباط المشئوم بحملة عنيفة من البرد جمّدت الدم في عروقي واحدثت تشنجاً مؤلماً وملازماً في اعصابي ولا سيما في معدتي فتجلدت له متّقياً شره وتخطه لائذاً بحرارة الفراش التي تحوّلت هي ايضاً الى صقيع طيلة ايام الشهر . فلما تولّى وجهه الشنيع وبدت طلعة آذار أمّلت وجود دفء تحت ردائه فاذا انا في غرور واذا هو شر من اخيه شباط . تضافرا على قلمي فاقعداه كما تضافرا على بدني فاضعفاه وعلى صبري فحطّماه .

ولما رأيت الشمس لم تعد تطلع ولا تظهر الا بائخة ونادرًا ومن كوّة ضيقة في متلبد الغيوم خطرت على بالي محاورة لراعيتي غنم ضايقها البرد وهطل المطر وتراكم الثلج وتواري الشمس اياماً عديدة متتالية فقال احدهما للاخر : ما قولك يا اخي في الشمس هل تطلع علينا بعد ام يدوم تحجّبها الى الابد ؟ فاجابه : اظن انها ستطلع بعد لكنها ان طلعت فلا يكون منها حرارة ولا دفاء مما نعلمه من طبعها في القديم .

منذ يومين تلقن لي قدس رئيسنا العام الكلي الاحترام للتشرف بمواجهته

(١) هذا الخطاب من قلم صاحب هذه الرسالة ، نشر في « المشرق » ثم جمع على حدة .

في بيروت فاعتذرت عن التلبية باوجاع معدتي من البرد فعذرني وأمر ان اوافيه الى بيروت متى شفيت . فاذا عادت طلعت الشمس ومعها دفء فاجيء الى بيروت غداً او بعد غد ولعلي اوفق الى لقياك . في اختتام تقبيلة ودعاء .

عن الرامية في ٢١ آذار سنة ١٩٥٣

اخوك
مبارك ثابت
لساني

٩

ت لجبيل واحي تعبوب انطونيوس شلي لمتني الوافر الاحترام

فتحة دراعين حول جبينك . فضمة الى صدري الملتهب شوقاً : فكسرة رأس (حنية لا كسرة) لدى عظمة محبتك السخية الخالية النياضة المجردة عن الانانية وكل انتفاع وكل رجاء مكافأة . يتلو ذلك تقبيلة حارة في جبينك العالي وعلى يمينك البارعة وقلمك المخصاب .

وبعد فاني اهنئك برئاسة انطوش جبيل واهنئ بك الانطوش . اما اياك فلفوزك بمقام يتسع فيه المجال لصولة دماغك ووثبة يراعك . واما الانطوش فلحيازته رئيساً مستكملاً مقومات الرئاسة ومؤهلاتها وكفوءاً لرئاسة اكبر الاديار . واما الجبيليون الكرام فلحظوتهم بأب عطيف ومرشد حكيم ، وواعظ منير . ومؤرخ بحاث بصير ، وقلب متحنن رقيق وكف مكفوفة الا عن البذل في وجوه البر والاحسان . لا ازيد على ما قلته فكل ما يقال في هذا الصدد قليل للمزيد . حققت فيك الآمال وأوتيت المعونة من عل . وايدك الجليل شربل بشفاعته ليصاحبك النجح والفلاح وتظل مرآة صافية الاديم لا يلامسها لمث ولا غبار . فتجمع على حبك القلوب وعلى تكريمك الألسن والنفوس . فانت في الرهبانية منارة من ذهب بسبعة مصابيح موقدة لا تداعب انوارها ريح العجب ولا يحجب من اشعاعها ضباب الارتياح الى الظهور والكسب .

ما انا الذي يقول هذا بل كل ذي بصيرة وتبصر ممن له معرفة بتقدير قيم الرجال . وما لساني هو الذي يتكلم بل شمائلك الحلوة وفضيلتك البارزة ومحاسنك الادبية هي المتكلمة بلساني . ولا اقول محبتك لي . لماذا ؟ لخروجك بها الى الافراط الذي لا استحقه وان كان لك في فؤادي مثل ما لي في فؤادك . لان الافراط من جهتك ينتهي احياناً الى تصغير ما تستكبره وتستجمله من نسيجي ولو على غير قصد .

ألا ترى ان التصدير الذي صاغه قلمك الحاذق في صناعة الانشاء اسوارًا لمعصم روايتي مرصّعاً بدرر الالفاظ وجواهر المعاني ومحاسن السبك والانتقاء. ألا ترى ان هذا التصدير البديع الذي اردته زينةً (لحيضاء)[1] قد تخطى مرادك فصار الى الانقلاب بحيث صارت زينة الحسناء المع واثمن من الحسناء نفسها. ومَن واجه اولاً ذلك التصدير الشائق ثم اتى على الرواية فعلى اي جمال تقع عينه بعدما رأى من طرافة التصدير واخذه بمجامع القلب ؟ اليس هنا موضع التقدير لقول ابي نواس : « كما ضاع عقد على خالصه ! ». وفي رأيي لا يصح في قضيتنا ما صح في قضية الشاعر العربي من فصل اسفل العين عن اعلاها لينقلب الذم الى مدح كما في « ضاء عقد على خالصه ». فان الصحيح في نظري ان عقد تصديرك وان زان خالصتي وألبسها حلةً من الجمال رائعة لا ينسج مثلها غير قلمك ولا يصوغ نظيرها غير رجاحة حصافتك. فانه لا يكون في حكم القراء من اهل العلم والذوق السليم الا افضل من خالصتي واثمن منها وألمع. لكنني على ذلك لا املك الا ان اعجب به واستجمله ايضاً من اجله. واشكر لك ولله تعالى على ما نالني من نعمة اقتران اسمي باسمك المحبوب في كتاب لبناني تتداوله ايدي القراء ويستدلون باقتران الاسمين والانشائين على اتحاد قلبين وروحين لاخوين متحابين لا يفرّق بينهما غير الموت.

فعش ايها الاخ الثابتة اخوّته الصادقة مودّته سنداً وفخراً وروحاً وقرة عين لاخيك المقيم على حبك وشكرك.

عن البراميه — في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٥٣

مبارك ثابت
لبناني

١٠

ابت العزيز انطونيوس شبلي اللبناني رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اكتب لك وانا مستلقٍ على ظهري في احدى غرف المستشفى اللبناني اتيته الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٦ تشرين الجاري. رُزقت في الساعة المذكورة ألماً في البطن اقل ما اقوله في احتدامه وثقل حلوله انه خُيّل اليّ ان في داخل جوفي امشاطاً من حديد تمزق الكبد والصدر والامعاء. عالج الطبيب تخفيف الألم بابرة مخدر وبجرعة من فوق وأخرى من اسفل. ظل الألم على حاله وازيد. فقال لا بد من مستشفى. وارسلني الى بيروت فقاسيت في الطريق

(١) اشارة الى الكلمة التي صدر بها الاب شبلي رواية الاميرة هيفاء لصاحب هذه الرسالة.

مثل عذاب التادي في طريق الجلجلة لكن طريق بيروت اطول . ومقاسيها اضعف . انتهيت الى المستشفى ساعة الظهر فاقبلوا اليَّ بالطعام ثلاثة الوان : ابرة وتحميلة وحقنة ماء وزيت . ويوم السبت فحص تلو الفحص ثم خُتمت الفحوص الفردية بالتصوير وفحص الدم : فتبين من فحص الدم التهاب في الامعاء فبدروا الى الثلج ودل التصوير على جسم غريب في المصران او في حواره سيحتون عنه اليوم الاحد .

ما كتبت لك لاحمّلك همّاً بل لاكفيك مؤنة العتب عليَّ اذا فوجئت بي لا يتهيني لاحرك بارقة الرحيل .

صان الله صحتك من كل اذىً واطال ايام حياتك سعيداً لا تشكو من صميم[1] .

بيروت — المستشفى اللبناني ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣

اخوك
مبارك ثابت
لبناني

١١

ابت العزيز البعيد القريب الساكن في محلين معاً انطوش جبيل
وفؤاد اخيك رعاك الله

يسقط عني كل همّ اذ اتمثّل شخصك المحبوب وأحبّيك واخاطبك بضع دقائق بلسان القلم الذي شاخ وعجز الا اذا سُرّح اليك وذكر محبتك فيخلع الهرم ويعبث بالعجز ويصفّق بجناحيه ويصيح ويطير او يقفز في الاقل .

جاءتني « المشرق » مشرقة باضواء قلمك اللامع وطبت نفساً بقراءته اي بقراءة مقالك الممتع اللذيذ . لا فض فوك ولا كانت جولات قلمك الا موفقةً . وشكرًا لك ولادارة المشرق على هديتكما النفيسة .

فهمت من رسالتك الاخيرة ان صحتك على تحسن او في الاقل ان سكّرك قد كسرت حدته فلم يعد يعوقك عن النهوض بالمهمات الملقاة على عاتقك فسُرّي من إشفاقي بعض الشيء وسألت الله سبحانه ان يأذن بتمام شفائك .

باب الانشاء اقفلته فلا افتحه الا لضرورة واكراه على فتحه اذ لا بد لي من اراحة رأسي ومعدتي وكليتيَّ فانها تشكو اليَّ تعباً وتذكرني بالقول المأثور : ما حمّل الله نفساً فوق طاقتها . على انني اداعب القلم على سبيل التسلية والعادة

(١) هذه الرسالة مكتوبة بقلم من رصاص .

وفي ما لا بد من تكليفه اياه . واخذت اتعوّد الاقتصاد واول ما باشرته بنجح فهو الاقتصاد بالقداحة وقصبان الكبريت والشحط فصرت اشعل السيكارة من بقية سابقتها واظن اني لن اقف عند الحد من الاقتصاد فيصير من مبلغي فيه اني اشعل السيكارة الجديدة من شفتيّ لفرط ما يعلق بها من حرارة السكاير المحرقات .

وهذا الضرب من الاقتصاد لم أبدعه من عند نفسي بل اخذته اخذاً عن المرحوم الاب روكز المشمشي : « الاّ الذي قلبُ اسمه زكور » رحم الله القائل والمقول فيه[1] .

(١) في منتصف صيف ١٩١٩ رافق المرحوم الاب بطرس ثابت الديراني امركيل العام اللبناني . الاباتي غابريئيل داغر الشوري رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقاً في زيارة بعض اديار متاطعة جبيل ولما وصل الاب العام في تشرين الاول الى دير مار انطونيوس حوب شعر الاب بطرس بألم برأسه وصحرته فاستأذن الاب العام وسبقه الى دير سيدة المعونات في جبيل . وفي طريقه عرج على دير مار شليطا القطارة . وكان يومئذ جالساً في ليوان المشى الشرقي فوق بوابة مدخل الدير يحدث احد الرهبان وهو الاب انطون قرطبا ، كان الاب روكز ضومط حرب من قرية مشمش (بلاد جبيل) مقابله يعمر حائطاً فهبت به ريح على مرتين فهدمته فقال الاب انطون للاب بطرس ثابت : ارجيك يا ابت ان تنظم تاريخاً لحائط الاب روكز . فقال له : عليك بورقة وقلم ، فاخذهما وكتب في الحال هذين التاريخين وهما :

— التاريخ الاول —

قد شاد روكز حائطاً ... ما فيه من حسن اثر
وله يد في رصفه ... أيرى لحائطه شرر؟
ولذا تراه مائلاً ... ما للمتانة مستقر
لعب الهوا بحجاره ... فتناثرت حجراً حجر
مهلاً رويدك لا تقل ... لي قصة فيها نظر
قد جاء بالتاريخ لي ... نصي بالبيات الخبر

سنة ١٩١٩

— التاريخ الثاني —

تباً له من حائط ... النحس فيه حائط
ولروكز فيه يد ... أو هل لهذا ضابط
فبأرخه غير تلا ... هو في قليل هابط

سنة ١٩١٩

كان الاب روكز من المدمنين على شرب القهوة والدخان والسيكارة لا تفارق اصبعه . فلما درى بهذين التاريخين دندن وغضب وعاتب الاب بطرس . وكانت اشتدت عليه وطأة المرض وما قاله له انه لو لم يغضب عليه لما لقيه المرض بهذه الشدة . وقال له ايضاً : انا مثل حجر الطحن لا اقع على واحد حتى أحرسه . فتعرضية له نظم الاب بطرس هذه القصيدة الفكاهية يستعطف بها خاطره نادماً على ما فعل وقد سماها :

مرادي بعرض هذه الامثولة الاقتصادية لا ان تأخذها عني بل لتوقعها من نفسك موقع العبرة فتعدّل التدخين بالانقاص ان كان لا ينالك منه اذى محسوس او باضحر ان انستَ الاذى وكان الحجر في طاقتك اي لا يكون صخرة عثار في سبيل قلمك .

اذا اتصل بسمعك شيء جديد مما ينظر الى الشؤون الروحانية فلا تكتمه عني فاني في معتزل البرامية غريب عن اورشليم لا اسمع ولا ارى . واحب ان يكون مرتفك من الامور من لا يسمع ولا يرى فذلك ابعد عن الظن وأقرب الى السلام واحفظ لراحة القلب وحسن الحسن المستقبل واحلب نحبة العصرم .

خن للسلم ومع الحق اذا دعانا لنصرته حق الله واذا كان الله اقدر مما وادرى فالأمر كله اليه وعلينا ان نجزي المحسن احساناً ونتكرّا والمسيء معروفاً اذا استصعبنا والا فصبراً يجارينا فيه محب الصابرين . تحيتي الى روحك ودماغك وقلمك ووجهك البشوش . حرسك الرب ولا زال مفرّحاً بك قلب .

عن البراميه — في ٢٧ ايار المبارك سنة ١٩٥٤

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

الاستعطافية

هجنا ولكن ابنا المصور ... الأ الذي تلهه اسمه زكور
رجل يصوم عن الصلاة فيومه ... حمد ويتكر والثناء صور
ودخانه يُلقى سحابة يومه ... متصاعداً من فيه نعم البخور
من نار محرقة له ملتهبة ... يبدو تنار ضحية وبخور
ولقد تناهى في الفعال فليس ما ... يثنيه عن مأتي الامور امور

. . . . .

قد جاء تاريخي لخاطه الذي ... ايوان كسرى دونه وسدير
متنفساً من فضله يا ليته ... ما نفلت منه بذاك سطور
بل ليت ذا القرطاس طيره الهوا ... في بلقع لا ترتجيه طيور
فلقد علمت بان دائي كله ... متولد من تخمه مفطور
قد قال يوماً انه حجر الرحى ... فالحق ذاك وقوله المأثور
ولذا نفست فان تكرم بالرضى ... فله تدق طبوطم وزمور
والى لقاء كبارهم وصغارهم ... وكلابهم وقطاطبهم والعير
شزراتهم تبدو بايديهم ومن ... م مناخل وغرابل وسبور
وثيابهم تروي حديث مبلهل ... وبني فزارة منذ لاح النور
من كل موشوم وآلة عزفه ... الدف والمزمار والطنبور
ذا راقصي ذا عازف ذا لاغط ... قارون يا بارون يا تكرور
ما شمت بارق ثغره ما بينهم ... والرأس منه زينته زهور
الأ وقلت مبجلاً ومعظماً ... الله اكبر انه لوزير

١٢

ابت المحبوب وشقيق الروح وخفيف الروح

المحبة تحب (التدليع) وانا احب ان ادلّعك على قدر محبتي لك . لكن التدليع ضائع عندك لانك لا تتدلع . واتمامه عسير عليّ لاني لا املك ان ازيد فيه على الكلام لا المصنّع بل المشتق من صميم الفؤاد ومن لباب العواطف ومن روح الشعور . اما التدليع بالفعل فليس يُرجى من ضعيف عاجز مثقّل بالحصى والرمل والاملاح ومعدة يلزم تعزيلها من الحمض بعد كل طعم . فضلاً عن اسباب الهمّ والاغتمام مما لا يخلو منه قلب عاقل او مدّعي معقل او رأس لا يخلو من تفكير .

ومن عوامل همّي واغتمامي ومن اقواها ما قرأته في كتابك تاريخ ٢٣ ايلول من اخبار سكّرك المشئوم وجرح قدمك وايلاده بترين واكراهك على القعود وملازمة السرير والتداوي لتخفيف الألم وصد الخطر مدة اسبوع كامل ، فهذا اوقعني في قلق كبير لاني شريك في كل ما يعرضك من مكروه ومحبوب ومحزن ومفرح . لكنني ما لبثت ان سكن قلقي اذ قرأت في الكتاب نفسه ان السلامة ما ابطأت ان اسفرت لك عن وجهها الصبوح وان الخطر المتهدّد الذي اسلمك الى الرعب والاوهام قد فرّ من امام قوة الله والادوية الناجعة ولا فرار الزئبق من امام النار فشكرت الله على ذلك وسألته ان يقطع خط الرجوع على اهارب المخيف . وهنا لا يسعني الا ان اوصيك باتخاذ جميع وسائل التحصّن والتصوّن بالانسولين او البنسلين والتغذية الملائمة : لان عدوك ماكر وجبّار وكرّار فلا يحسن بالفطين ان يدع ثغرةً او مدخلاً لعدوّه اليه . المريض له عذره امام الله والناس في طريقة معاشه اللازمة لحفظ البقاء ولا حرج عليه .

انا في الوقت الحاضر على حال من الصحة لا خطر معها ولا شدة ألم . اشكر الله عليها ولا اتمنى احسن منها مخافة ان يكون الاحسن غير صالح لاحوال الروح واذ كنت موقناً باخلاء منزلي عاجلاً او آجلاً لم اجد انفع لي من التسليم الدائم لمشيئة الله الذي من عنده المرض والشفاء وبيده الموت والحياة وامره الأمر . وفي هذا التسليم كل الراحة والتعزية والصحة بلا صحة والشفاء بلا شفاء .

كتبت لك في ما مضى انك اذ تعرض لك حاجة فتجيء الى بيروت تعرّج على بيت المرحوم عبدو اخي فتحدثك امرأته عن رجل بجوار بيتها

كبير احتفى عني بالسكّر المتشرم عناءً فاحتفاً كان قد اشرف على التلف فاستنجد الانسولين والغذاء الملائم فاصبح كمن لا سكّر عنده وكمن ضفر على عدو شديد اللدد وقيّده بسلاسل لا تنكسر. ولا يعيب عن بالك انك خادم الاب شربل رجل الله التقديس وشفيع اخوته الرهبان المتبرّخ بالتضرّع عنهم فطالبه باجرة خدمتك التضرع واتعابك البدنية والعقلية في سبيل تقديسه انه اكبر من ان يرضى بان يظلّ مديوناً لخادمه وهو الذي يعطي من لم يخدمه يعطيهم من كنوز الرحمة الالهية بدون حساب. اني ولو رأيتك في باب القبر لسألتك انك تدخله ويد القديس شربل تجذبك بقوّة الله الى الوراء[1].

اكملت كتابة الجملة الاخيرة واذا شاغل فاجأني غير ممهل فاضطررت لختم هذه الكتاب بتقبيل حبيبك وتكرير الدعاء من اجل سلامتك لتلقى دخيرة لاخيك الذي لا تبرح عن باله

فلا تحبس اخبارك عني اية كانت ولن تكون الا سارة باذن الله.

عن البرامية — في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٥٤

مبارك ثابت
لبناني

١٣

حضرة الجليل البحّاثة الدقيق الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اخي وروحي

انتهى اليّ مكتوبك في ختام الاسبوع الماضي ساعة كانت افكاري تحوم حول انطوش جبيل واقول في نفسي ما حال الحبيب وما باله لم يكتب لي على عادته: لا اقدّر ان يكون العائق من متعلقات الصحة فقد كان يكتب لي وهو يكاد لا يملك تحريك القلم باصابعه. ولو ان وطأة السكّر اشتدت عليه حتى اعياه القتال فالقى السلاح مسلّماً الى عدوه الباطش لما كان يكتم عني ما حصل له من ضيم. اذاً هو ينتظر رسالتي وانا اسوّف واذا كان الميقات يجيئني من يشغلني ثم اسوّف وهكذا دواليك مع علمي وتعليمي بان عملاً يستطاع اليوم لا يحسن ارجاؤه الى الغد. فعفواً وعذراً. ما لي اقول هذا وكان الاحرى بي ان اقول عاتب ولا تعذر لاني جدير بعتبك لوقوعه في

(١) نحن اول من كتب كلمة عن الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير مار مارون عنايا فنشرناها موجز حياته في مجلة «المشرق». ٢٠-٢٨٩ ثم توسعنا فيها في كتاب مستقل «الاب شربل مخلوف» طبع بمطبعة الكريم في جونيه سنة ١٩٥٠ في ١٧٧ صفحة بقطع كبير.

محله فضلاً عما أحد فيه من لذة وعذوبة لابد من الحبيب وكل ما كان من الحبيب فمحبوب ولا سيما اذ يجيء مسكوباً في قالب رافلاً في انفس حلة من التعبير . ليتك لا تنفك تنفحني بمثل هذا العتاب .

غمّني ما اعلمتني من بقائك وسكّرك المرّ على ما كنتا عليه من حال لكن علمي بغزارة فطنتك يخفف من اغتمامي ويوليني شيئاً من الاطمئنان اعتبار انك قد ذقتَ وعرفتَ شرّية هذا الداء كما انك لا تجهل باي سلاح تخفض من غلوائه وتكسر من شوكته فاطعنه بالانسولين مرة كل يوم واحرمه من كل حلو حرماناً كاملاً من الكثير والقليل ولا تزد في غذائه على الخضر واللحم بهذا تضعف قوّته وتليّن صلابته .

في رأي الطبّ وحديث الاطباء ان لا يُحرم السكّريين من الفواكه فيوذيهم وينفعهم في الغالب ان يتناولوا قليلاً من الفواكه التي لا يكثر السكّر فيها كالتفاح والاجاص حتى الخوخ باصنافه وكالبرتقال باشكاله وهذا افضله ما أخذ قبل استكماله النضج والحلاوة . وشرط الفواكه كلها ان لا يُصار معها الى الاكثار فان الافراط ولو من الاشياء النافعة لا يخلو من ضرر وعلمك بهذا اوسع واعرف .

رأيت الاخ الياس[1] وقد صار من السكّريين منذ عهد غير بعيد وكان لا يدري بحاله فنبّهني اليه ما رأيت عنده من كثرة الحاجة الى شرب الماء والى ارسال البول فكان اذا استصحبته الى صيدا او لزيارة في الرعية يضطر لارسال البول اكثر من مرة في الساعة الواحدة وفي اي موضع من الطريق وجد حائطاً ولا شأن عنده للمارة ولا مبالاة وكنت اقول له مازحاً اراك تتشبه بمعكوف الذنب الذي من طبعه يلقي قليلاً من بوله في مواضع كثيرة كعلامات يتعرّف بها على طريقه في الرجوع . ومن علامات سكّره انه يأكل كثيراً ولا يشبع ابداً . فقطعت بوجود السكّر عنده فارسلته الى الطبيب فوجد كمية كبيرة فعالجه في مبتدإ الابر بالانسولين وبالحمية بضعة ايام وعاود الفحص فلم يبق من السكر الا القليل فاوجب الامتناع عن تناول الحلويات والحبوب والاقلال من الخبز والاكثار من تناول الخضر فعمل بالوصية اسبوعاً وفحص البول فوجده نظيفاً من السكّر وكذلك وجده بعد اسبوعين واسبوعين آخرين فهنأناه ثم وقع له ان أكل قطعتين من (البقلاوى) في صيدا خفية عني . ثم اكل قطعة من الحلاوي وقت طعام الظهر واردت منعه فقال : « نتفه بهالنقمه

(١) هو الأخ الياس الخوري من كفرشيما كان مقيماً مع الأب ثابت في دير البرامية . توفي في دير مار جرجس الناعمة .

لا بأس » فتسامحت معه وقلت له : « خطية ! من عينك . ولئلا تطلع شهرة عائبة في الصبي » وبعد ثلاثة اشهر تأكد من عود السكّر فاتاني منكسر الخاطر ماحاً وجنبه بالتجهم والاكتئاب. وجرّبت بعد ذلك ان اطعمه «حلاوة بيروتية» فعافها ولكنه تناول « بلكوماً » من التين المطبوخ بالسكّر وقبل ان الفظ كلمة المنع كان البلكوم قد اختبأ في معدة حامية كحيطان جهنم .

اتيتك بهذا الشرح لأؤكد لك ان الحمية هي كل الدواء . وهي بوسعك وما تتحاماه من مأكل عوّض عنه بالانسولين يومياً ويصير يصح لك ان تتناول اصنافاً من الغذاء ما حلا الحلويات . وقليل من الجوع امكى للسكّر وانفع لصاحبه من المنع

ما ذكرته لي من صداقة حضرة الاب المحترم عبدو مدير «المشرق»[1] وما وقع في نفسه من تأثير زيارتكما السعيدة لي وما تتحدثان به عني ايام تلتقيان لا استغربه لانكما ممن يرى الحسن ويصرف النظر عن القبيح ، ولان الباطن لا يراه الا الله وما يحكم الانسان الا في الظاهر ، وعين المحبة لا ترى غير الجميل وربما عدّت القبيح جميلاً . وانا اشكر لكما واؤكد لك انني قد احييت حضرة الصديق الكريم الجديد الى ابعد مدى . ومَن لا يحب العلم والفضيلة والكياسة والاخلاق الصافية.وان قلمي لاعجز في التعبير عما يزدحم في فؤادي من عواطف الشكر لك على اعطائك اياي هذا الصديق الجليل المحبوب الذي يركن الى مودته ويستوجب كل اكرام واجلال . بماذا اكافئك على صحة محبتك لي ودوام اهتمامك بشؤوني فلو كنتُ انا انت بالذات وكنتَ من ذوي الانانية المفرطين في حب الذات لمَا خطر في بالك ان تصنع اليّ اكثر مما صنعت وتصنع فليكافئك الرب خيراً ويردّ عليك الصحة على ما احبّ ان تكون لك .

ويمدّ في عمرك فاتمتّع واتعزّى باخوّتك التي هي اقرب اليّ والذّ لي واثمن في نظري من الاخوّة الطبيعية .

من جهة صحتي لا اشكو من ضيم ثقيل. الكُلية ذات الحصاة لا تؤلمني موضعياً كما لو كانت سالمة . اما المعدة فذات كسل وبطء في الهضم فلا تخلو مرةً من غاز ينفخ ويتصادم ومن حمض يقلّ او يكثر . والعلاج المألوف لتخفيف الألم الحمية واجادة المضغ ودقّ الطعام وحرسه واحياناً كثيرة امراره بمصفاة تنعمه وتنقّيه من خيوط الخضرة التي تكون في ورق السلق وامثاله . وهذه الطريقة تسهّل الهضم وتعجّله وتخفّف من الألم الذي لا بدّ منه بعد

(١) هو الأب انطاطيوس عبده خليفه اليسوعي .

كل اكلة اياً كان نوعها . وقد يمرّ اسبوع كامل لا تحرّك المعدة فيه ساكناً وتكون كصاحبة لا تريد بي اذىً وهي تخشى الاذى من قِبلي ، اي من قِبَل الحشو نوعاً وكمّاً !

بشرتني بزيارة تقوم بها انت وحبيبنا الاب عبدو المحترم . اهلاً وسهلاً ومرحباً . اود لو امكنك ان تعين لي يومها قبل حلوله لاصلح لكما غذاءً لان ما نصلحه من طعام لي وللاخ الياس لا يحسن ولا يطيب لغيرنا . واذا كان قدومكما علينا فجائياً فلا نجد في الدير ولا في البرامية ما نقدمه لكما ولا يكمل سرورنا بزيارتكما الا ان يصير بيننا وبينكما (خبز وملح) .

الآن الى السرير فقد صارت الساعة العاشرة . تصبح بخير . ويبقى ذكري عندك في انطوش جبيل .

عن البرامية — في ٩ آذار سنة ١٩٥٥

اخوك ثابت
لبناني

١٤

اخي وحبيبي المقيم في قلب اخيك مالكاً لا مستأجراً

لا اقول لك اضمك الى صدري لانك مضموم (والضم علامة الرفع) وساكن في سويداء قلب اخيك . والضم والسكون لا يجتمعان الا في السويداء التي على صغرها تتسع لك على تمادي الزمن ، وعلى قدر اتساع فضلك ومروءتك ومودتك الصافية حتى لا يكون لك من ضيقها زاعج اذا ازداد عناك اشتهيه لك من امتلاء الصحة وسمن البدن . وحتى لا يداني وهمك ان ابطائي في الكتابة لك بعض الوقت معلول نسيان مقيت . او مساس لعهد الأخوة ، او فتور في حرارة الحب او ما اشبه . والحق اني كنت انتظر زيارتك لي استناداً الى وعدك وزيارتي لك بعد الفراغ من شؤون الرعية والمعايدات التي تقتضي وجردي في الدير لخلوه ممن ينوب عني ولا سيما في استقبال زائريّ من اقارب واصدقاء من دير القمر وغيرها .

ومن اشد موانعي عن المجيء اليك مانع الألم واحياناً الخوف من تدوم الألم فاني من بدء سبة الآلام المقدسة الى اليوم لم اجتز ولا يوماً خلا من زيارة المغص في المعدة بتفاوت في شدته وخفّته . وهذا الألم يفاجئني من حيث لم يكن ليخطر في بالي . فقد قمت بزيارات المعايدة لبيوت مجاورة ولم ينلني شديد ضيق وتعب واخذت النفس باتمام الزيارات فاضطجعت وحيدي الاخ

الياس ثا مشيا رهاء مشتي متر حتى واتبي المعص مواتبة العدو الثائر الحاقد المتقد الغضب فرجعت على عقبيّ مخافة ان يجدّ بي الامر فأحمل الى المستشفى كما وقع لي في السنة الماضية وعقدت زيارة الرعية بقدمي الاخ الياس فاغنى عنائي وتمنع وحده (بقرط) البرتقال والاكدنيا في بيوت البساتين الصيداوية الغنية بالاثمار والازهار في مثل هذا الفصل من فصول السنة .

والآن ازف اليك المعايدة مستحيياً ومعتذرًا ولا اذكر لك تمنياتي وكلانا في علمها سواء لان قلبنا قلب واحد فكمينا شعور واحد بما يكنه ويبتغي به ذلك القلب الواحد المزدوج .

كيف انت والسكر في متناعب هذا العيد ايكما الغالب ان كنتم في قيد ويكما السالم ان كنتما في صحة وسلام ايّاك والركون اليه اذا امست منه جروحاً الى الهدنة . انه عدو مخادع غدّار يخبئ احياناً وراء ظاهر الغدر تأنيبا كاذباً حتى اذا كشف الخوف من شره او انتقص خرج من كمينه فجأةً وواثب عدوه الاعزل الآمن المغرور . فاحتفظ بسلاح الحمية لا تلقه عنك البتة لتسحق به رأس ذلك الافعى الهائل فان استعصى على هراوة الحمية فادهنها بالانسولين يفرّ من وجهه فرار الزئبق من وجه اللهيب او توقف فاعلية سمّه الفتاك . وقوة الله كافلة بالشفاء . وهذا الذي اقوله انت تعلمه اكثر مني لتمرسك به ، لكن صاحب السكر قويّ شهوة الطعام ولا سيما المغري بحلاوته . وقد عرفت ذلك بمراقبة كثيرين وحسبي مراقبتي للاخ الياس فانه يفحص بعد الحمية اياماً فلا يجد للسكّر عيناً ولا اثرًا ؛ الا ان اقلّ خروج عنها يعيد اليه مغلوبه جريئاً وقوحاً غير وجل ولا هياب .

رواية الكسيوس المعروف باسم ريشا لم اعثر عليها بين اوراقي رغم الحافي في التفتيش فحوّلت رواية مارينوس من تمثيلية الى اخبارية ولم يبق امامي الا تبييضها . فمتى تمّ لي هذا ساعرضها لك قبل حملها الى مجلة «المشرق» لتعطف عليها بنظرة نقد وتهذيب . فان حظيت والا فلها موضع في مخبأ غيرها من الاوراق . وكما تكون حال الفرّم تكون حال القلم عند الحرّم . بُلّغتَ العمر الاطول وسلامة القلم المُرهف يا عكّاز شيخوخة .

عن البرامية — في ٢٤ نيسان ١٩٥٥

اخيك مبارك ثابت

١٥

اخي المحبوب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام .

في هذه الساعة الثالثة بعد ظهر الاحد اليوم الثامن من شهر ايار المبارك سنة ١٩٥٥ في هذه الساعة انتبيت من تبييض رواية مارينوس وكنتَ انت نصب عينيّ واقرب الى نظري وفكري من كل كلمة اصوّرها على القرطاس . لم الق القلم من يدي لاتنفّس الصعداء واذوق طعم الراحة بعد التعب لا تعب الفكر ولا تعب العين ولا الانامل بل تعب المعدة وتعب تبخير الغرفة بدخان السكاير اشعلها حامية متتابعةً ما دمت امرّ قلمًا على ورق حتى اخذت اكلّم الحبيب بالقلم لأني قلت لا يريحني مثل التحدث اليه لانه لذة واللذة اقوى من التعب ونادر ان يجتمعا . كتبت الثلاثة الاسطر الاولى وقبل ان آخذ في الرابع اتاني صديقان من الجيران صديقا « شاش باش إكي بير » يزورانني كل مساء للتلهي ساعة او ساعتين بلعبة الشاش باش حتى اذا غابت الشمس وهو ميقات زياح السيدة العذراء يصليان معنا في كنيسة الرعية او في معبد الدير ورجل كل منهما (معقيله تجرّ كل العيلة) بمعنى انهما قدوة للغير .

وقف وارجاء الى غد الى صباح اليوم الاثنين ٩ ايار . لكن الصباح كل صباح ليس للقلم بل للطنجرة لان عليّ بعد حصة الله التي لا تسبقها حصة اعداد طعامي بيدي ولا بد من انصرافي اليه ويوم أخلّي الطنجرة على النار لاقبض القلم انسادا فتحترق بما فيها . فكم مرة كان غذائي فحماً ليّناً . او وجدته فحماً حجرياً لا يقلع من الطنجرة الا بازميل حديد او (باصبع ستي ام شديد) الآن نضج الكوسا المسلوق في الحليب فضي بالي من جهة الطنجرة هي الساعة العاشرة :

صباح الخير يا حبيب اخيك . كل ما جاء في مكتوبك ٢ ايار وقع من نفسي وقع الندى على الزهرة لفحتها السموم . ما عدا اغفالك مدراة العدو السكّري الغدّار المقيم في الدار مع امكانك ان تتسلح لمجابهته بالحمية للخضد من شوكته وهي مستطاعة مع تراكم الاشغال وترابكها وشرب القهوة والتدخين وزيارات العيد وما اشبه لان قوامها الاغتذاء بالخضر وهذا ميسور لك ولغيرك من السكّريين والسكّريات في كل حال . فهذا وحيدي الاخ الياس يدخل ويخرج ويقوم باشغال المطبخ ويقرع جرس الكنيسة خمسين قرعة متتالية ويشقق حطباً فلا يزيد ذلك في سكّره . واذا تحامى عن الاكل واقتصر على الخضر يومين او ثلاثة ثم بحث عن السكر لم يجد له عيناً ولا اثرًا . وهو يأكل كثيرًا كيلوين من الفول الاخضر او مثلها من اللوبياء الخضراء وربما اكل الصنفين

معاً في يوم واحد ويظل السكّر متوارياً . واذا اكل الحبوب او الحلواء ولو قليلاً تجدد عنده السكر بتفاوت في الكمّ على حسب التفاوت في كمّ ما أكل . فاذا لا تجرّب مثل هذا الاكتفاء بالخضر تضيف اليها قليلاً من اللحم الحالي من الدهن لترى ما يكون من امر السكر حتى اذا تقلّص ظله او خفت وطأته تحمد الحمية وتبت معها عهد صداقة ومصاحبة وتعاون على العدو . ولديك في هذه الايام رُكام من الكوسا والفول والباذنجان والاربيط والسندورة وما شاكل . فاكره النفس على قبولها والاكتفاء بها ترى السكّر يفرّ من وجهها هارباً مدحورًا . ومتى امنتَ من سطوة العدو تأمن ايضاً من ادى الاشعاع متراكمة على رأسك لانها اذا خفت من مصادرة مرضك تدلّ لك وتعود صاغرةً لرأسك (الكبير) الذي يسع كثيرًا من الاشعال العقلية وهي اخف من بعوضة وقفت على رأس جبل . فاتهم ان يكون تماثل بين قوة البدن وقوة الرأس ؛ ولا يحصل لك هذا التناسب الا بملازمة الحمية انها شاقة لكن ثمرتها لذيذة تنسي المشقة وتحمل على شكرها وحبها وكراهة فراقها . شفاك الله واعطاك ارادةً حديديةً تقوى بها على جلب النافع ودفع الضارّ فتبقى ذخيرةً ثمينةً وعضداً قوياً وقرّة عين مستمرة لاخيك حيرد ما يصيبه من عطفك وفواضلك واهتمامك بشؤونه فلم يعد يجد من لسانه وقلبه وقلمه ما يفي بحبك وشكرك فيعود الى الاجتزاء بهذه الكلمة الحلوة . حبيبي لي وانا له !

ما اجمل ما افكّر فيه كلما اهتديتَ الى ضائع من مكتوباتي كهذا الذي تخبرني به من اهتدائك الى رواية الكسيوس ووعدك بان تحملها قريباً اليّ . وما هذا اول ضائع تتكلّف البحث عنه حتى تجده فتردّه اليّ . فالامر الجميل الذي افكّر فيه هو اني اذا اضعت كل ما لي من القوة الذاكرة فلي من مروءتك وقوة ذاكرتك ما يغنيني عمّا اضعت فكأني لم اضعه . زادك الله قوة صالحة في كل ما هو لك وزادني شكراً لك واستغناءً بك وتعويلاً عليك .

وعدتني بان تشرفني بزيارة قريبة ويكون صديقنا الوفيّ المحبوب حضرة الاب عبدو خليفه مدير « المشرق » الغرّاء فاهلاً وسهلا ومرحباً بالزائرين الكريمين من فؤاد اخيهما المكان الارفع .

... وانا اقبّلك في الختام .

عن البراميه — في ٩ ايار سنة ١٩٥٥

اخوك المفاخر باخوّتك

مبارك ثابت

لبناني

١٦

الى حبيب القلب الاب انطونيوس شبلي رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

عم صباحاً أخيّ واسلم معافىً عزيزاً .

انا في كل ما عهدتَ بي من الاخلاص والحبّ ولوازمه ثابت لا احيد يمنةً ولا يسرةً ما دام لي رشد من العقل وحزم من الارادة . كثيراً من الاشياء قد نسيتُ وكثيراً من الشؤون يغيّب الآن عن ذهني النسيان . اما فضلك الي وعطفك عليّ الى صدق مودتك وصفاء محبتك الى ما يأخذ بلبي من إشراق خصائلك ومحاسن اخلاقك واستقامة مسالكك . هذا اعتقادي وما تعوّدت ان اظنّ بغير ما اعتقدتُ .

كيف انا في الايام القليلة التي اجتزتها من بعد كتابتي الاخيرة اليك ؟ لا اشكو الا من معدة تناجزني القتال منذ ستين عاماً : قتالاً لا هوادة فيه فلا انا غلبتها وكفيت شرها ولا هي غلبتني وتفرّغت لقتال غيري .

لي عشرة ايام لا اذوق طعم الراحة .. نهارات ألم وليالي ألم وأرق . لا اكاد ارى اجفاني تقبض على الكرى حتى يُفلت فاراني كقابض على الهواء . من الساعة العاشرة الى الثالثة نوم ساعة وأرق ساعة . اشتري النوم بطول القراءة فيذهب الثمن ضياعاً . يوقظني الألم بهزة قاسية يحمل بها على ممر الساعات . ثم من الساعة الثالثة الصباحية الى العاشرة المسائية آلم يطيب له المقام في المعدة يجيئها حيناً من الكبد عن اليمين وآخر من الكلية عن اليسار . واحياناً يتمطى فيطول شبراً او شبرين زيادة على قامته صاعداً الى ما فوق الى مصايف العنق والكتفين غارزاً اظافره المرهفة وابره النافذة حيثما وجد مغرزاً أقاسياً كان المغرز ام ليّناً . ضيف ثقيل نزل عليّ ينازعني ملك بيتي كأنما هو من بناء يده او ارثة عن ابيه وجده المقلقين . فلا بالتمليق استطعت إخراجه ولا بالتخويف ولا بوخز الابر ولا بضرب العصا ولا بقرع السيف ولا بشتم ولطم ولكم .

طويت الايام العشرة على الحال التي ذكرت وكنت في خلالها استنجد بيسوع ومريم واستجيرهما فلا ارى منهما اصغاءً اليّ هكذا كانت مشيئة الله امتحاناً لصبري وتربية لاجري . ثم انهما انجداني واجاراني فشرّدا محاربي وأبعداه خاسراً ذليلاً .

وها انا صباح اليوم في الساعة الرابعة فتحت عينيّ وتأملت فاذا العدو

قد انهزم وعثرّه قد انخطم فتكرت لمقذتي . وبعد البحار من دروسي الدينية أجلست قدح القهوة امامي وسيغارتي بين اصبعيّ والقلم في يمناي اكتب لك هذه السطور . اسأل الله ان يجود لك بالصحة الوافية ويمد في عمرك ويبدل سكّرك المكروه بحلاوة العيش وخلوّ البال . عش فرحاً لقلب

عن البرامية — في ١٤ ايلول ١٩٥٥

اخيك ثابت

١٧

ايها الاب الحبيب والاخ الوحيد والصديق الصدق

اصمك الى صدر لم تبرحه ولا يوماً ولا ساعة لا في ظاهر الصدر انت بل في داخله في اخاديد الفؤاد وسويدائه . لعله يمرّ بخاطرك من طريق المماكهة ان البيت اضيق من ان يسع جسمك السمين ودماغك الكبير . فاقول انك أوتيت من خفة الروح ما يحملك لو نزلت بالعين لانطبق عليك جفناها وهي لا تشعر بوجود انسان عندها غير انسانها .

كتاب الطب العربي قرأت عدةً من صفحاته الأولى فوجدت انها لا تخلو من فوائد ورجح عندي ان الكتاب مقدر له الرواج عند العامة لان بعض وصفاته دارجة في استعمالهم في جميع النواحي اللبنانية فاشاعتها بينهم مطبوعة تقرّر نفعها في اذهانهم وتزيدهم توفرًا على اعتمادهم عند الحاجة . واذا وجدوا مهاودة في الثمن فلا يبطؤ ان يصير في بيوت كثيرة متى حصل العلم به والتشويق اليه فان الانسان مائل بالطبع الى اختيار ايّ علاج يباعد الالم عنه أو يخففه او يسكّنه ولو الى حين .

واني ارى انه اذا أعلن في بعض جرائد من كثيرات الانتشار يطلبه كثيرون حتى من الخاصة والاطباء ايضاً لما في الانسان من رغبة في معرفة كل جديد فان لم يكن للانتفاع به فلاغراض أخر في مقدمتها معرفة الجديد . بارك الله نشاطك وهمتك وزادك قوة وصبرًا على انشاء الاعمال الجامعة بين اللذة والنفع . ولك الشكر على اهدائك لي نسخة من الكتاب شكرًا كبيرًا نصفه حظ لاخينا وصديقنا الوفي المحبوب الكريم الاب اغناطيوس خليفه اليسوعي الذي له في نفسي مكان يكاد يكون مساوياً لفضله وخلاله العالية ، قلت يكاد لان تمام المساواة ابعد من استطاعتي فما كل ما يُرام يُنال .

كيف صحتك الغالية واحوالك الجارية اني راحة انت وطمأنينة وسلام من كل ناحية ؟ انا على ما تعرفه من حالي . ألم المعدة صديق لي منذ عهد

الصبا فلا يفارقني ولا بالتذمر والتسرمر لكنه يختبئ احياناً ويرقبني من وراء الستار ليرى ويسمع ما افعله واقوله مما ينظر الى عهد الصداقة المُبرم من جهته دون جهتي ثم لا يلبث ان يظهر ويقول ها انا ذا يا صديق لن اتركك الى المنتهى . هات الساعة كربونك وكازوزك وبانسونك وماء زهرك والمسكّنات والمخدرات من سوائل واقراص وحلو ومرّ فاجالسك وتتأ واريحك من تعب العمل العقلي والبدني والزيارات القريبة والبعيدة رفقاً بشيخوختك الحاملة ثقل السنين . واذكّرك بتطلاب كل ما تحت الشمس واحوّل نظرك جهة الافق فترى عندئذ شمسك وقد بدأ يُلقى على وجهها حجاب الغياب فتأمل في ما وراء الافق واجعل همّك الى احسة الطريق . قلت اذن مرحباً بك انك نعم الصديق ونعم الرسول . تقبيلة في الجبين . بقيت طويلاً كريماً سليمًا قرّة لعين

البرامیه — في ٢٢ شباط ١٩٥٦

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

١٨

اخي المحبوب

شغلنا الشاغل المزّات الارضية . وهمّنا الاكبر ضيق منكوبيها ؛ مئات من اصدقائنا والذين تمتّ اليهم بصلات متعددة لم تزل قائمة على تقادم عهدها ؛ مئات من هؤلاء ومن الذين لا نعرفهم ولا يربطنا بهم الا رابط الايمان والانسانية نراهم وقد تهدمت منازلهم وخربت ديارهم وتلفت مؤنتهم واثاثهم وملابسهم قد صاروا الى اشد العوز لكل شيء : المأوى والملبس والمفرش ؛ فهم يفترشون التراب ويتدثرون بالبرد منصوبين لهطل الامطار ورشق البرَد الساقط عليهم بحجم البندق واللوز مما لم يُشاهد مثله في فصل الشتاء ، فكأن كانون الذي قضى نحبه ودُفن في حفرة الزوال ورُكمت على قبره ايام شباط وآذار ونيسان بُعث حياً ونفض عنه رُكام الأيام وزحف على شهر ايار بجيش من المطر والبرد والصقيع والريح الباردة تهبّ هبوبها الحامل الاذى من الشرق والغرب والشمال والجنوب ليعلم الناس ان الله اذا شاء ان يعاقب الارض شللاً لرجاسات القائمين عليها سلّط عليها اسباب الدمار من جوفها ووجهها ومن فوقها وحواليها . وانه لا ملجأ الا اليه ولا مهرب من عدله الا الى رحمته . يهزّ قضيب تأديبه لعلنا نعود الى خشيه تائبين لمرضاته .

هزّتان صباح اليوم الثاني من شهر ايار ، ألمّتا من الذعر في القلوب

ما حمل على اخلاء المساكن المتصدعة والسليمة ايضاً خوفاً من الانهيار والموت تحت الردم . كل حركة تحدث فجأةً تقع في الوهم هزّة تهزّها الابدان وانتظار هزات جديدة مسيطر على النفوس يزيده استمكاناً شائعات تتناقلها الالسن توهم ان زلازل ستحدث في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية تنبأ عنها العالم الفلاني والعالم الفلاني ممن يوثق بعلمه وممن تنبأ عن الهزات الماضية فتمت نبوءته لم يسقط منها حرف ولا ظرف . هذه الشائعات والاراجيف تفعل في النفوس اكثر مما تفعله الزلازل عينها .

هذه الاحداث والشؤون لم تنسني محبتك ولا عنايتك الواسعة بشؤوني فانت في قلبي لايخرجك منه الا سكتته الاخيرة .

القلم ساكن ساكت لا يحرّكه الا ما لا بد من قضائه من رسالة او تدوين حادث او تسجيل حساب . في سبيله حواجز من حصاة الكلية واوهار الشيخوخة وركام الايام . واكثر ساعات يومي الفاضلة عن الصلاة لاستقبال الزائرين الآتين لحاجة او للتسلية اتلهّى معهم عن ثقالة التفكير في ما لا يثمر غير الاهتمام . ولا ابرح الدير الا لعيادة مريض من رعيتي او لشأن من شؤونها شرط ان لا تكون الشقّة بعيدة فان كانت جعلتُها على همّة الاخ الياس وهو الذي يقوم مقامي في زيارات الاعياد وفي تكريس البيوت بالماء المبارك لانه يحسن الرش وما يصاحبه من برتقال واكدني وحلويات وقهوة بنّ وما شاكل وهو على المشي قدير .

كيف انت من كل وجه ولا سيما من السكّر ضيفك الثقيل — وماذا لديك من اخبار رهبانية ومطرانية . وعمّا يعنينا من وقت التغيير والتبديل المنتظرَين — رواية مارينوس اتيتُ على قراءتها في مجلة « المشرق » فاستملحتُها كشيء لا انا انشأته ولا رأيته من قبل . والحق ان الفضل للصديقين الثمينين شبلي وعبدو اما انه لولا عنايتكما لمّا برزت من مخبأها المجهول . وهذه يد جديدة أضيفت الى ما لكما عليّ من ايادٍ بيضاء ومن اجلها اضم شكرًا جديدًا ودعاءً لكما جديدًا الى ما سبق من شكري لكم والدعاء . اثابكما الله خيرًا وزاد في فضلكما وفي قدرتكما على النفع وأمدّ في حياتكما الثمينة المجلّية في حلبة الدين والعلم والادب والاخلاق . تقبيلة حبّ واشتياق من شغتي قلب

عن البرامية — في ٩ ايار سنة ١٩٥٦

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

١٩

اخي المحبوب الاب انطونيوس شبلي رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اشتياقي اليك على قدر ما استطيب لقاءك وعلى قدر ما لك من فضل وجميل الي وما اعتقده من محبتك العملية لي . لا اقول على قدر محبتي لك لانها وان كانت عظيمة ولا تزال تتعاظم فانها اذا قيست بمحبتك لي اصبحت كلا شيء . منها وجّهت من قلبي اليك فقليل جداً واخجل ان اسميه وفاءً لان الدين الذي لك قبلي اكبر من قدرتي على ايفائه وان جهدت. ما حيلتي في مكافأة من يتصل المعروف بالمعروف يكرّمه لديّ بلا طلب ولا حساب ولا امل استرداد بل يعدّ قبوله من قابله فضلاً وجميلاً واحساناً . ان هذا لمنتهى الحب والوداد والاخوّة والصداقة والجود .

ألستَ ارعى لشؤوني مني لشؤون نفسي ؟ لكنّ شيئاً اشكوه منك اليك وهو انك قد عوّدتني التوكل في كثير من أمري التوكل عليك فقط ؛ على مروءتك ووعيك وصدق محبتك وبعد نظرك واهتمامك بامور ي كأنها امورك . لقد اثقلتَ كاهلي بحمل لا اعرف كيف انزله ولو عرفت واستطعت لما أردت ان أنزله لان بقاءه يسرّك ويسرّك ايضاً ان تزيد عليه وما دام هذا حسناً في نظر خلالك العالية فسأحمله الى المنتهى ليكون لي كفناً وحنوطاً .

لا تعجب من ابطاء الكتابة اليك فان الفاتح ابا ركب اقبل اليّ كاشرًا عن نابه فخفته ولم ارحّب به فعدّ ذلك امتهاناً ووثب عليّ وثبة الليث وصرعني صرعةً قاسيةً ألصقتني بالسرير اسبوعاً وبالغرفة اسبوعاً آخر لكني صمدت له ولم ارهب بأسه وسطوته وما زلت حتى غلبته فانهزم تاركاً لي من صحتي ما كان قد غنم . الا انه ضعضعني طول مدة ضيافته الثقيلة فابطأت بالكتابة لك الى اليوم .

عسى ان لا يكون اراك وجهه القبيح ولا اضطرك لمواقعته ولا اجتاح المدينة الاثرية ولا رعيتك المحبوبة ذات الكنائس والمعابد والقديسين وسلطانة جميعهم ملكة الارض والسماء .

ما انباء صحتك واشغالك وسائر احوالك ، هل تغيّر عليك شيء في هذا العهد المبارك ؟ وهل أعطيت معاوناً لك على حاجات الرعية الكبيرة ؟

اذا جعلك موضع بحضرة الصديق الكريم الاب عيدو فتلطف وألق اليه تحياتي ومودتي وشكري حيثما وكلما التقيتما ليكون لي الشرف والفخر بحسباني ثالثاً

مضافاً اليكما ولو بالرغبة والشوق . وها انا الآن اعانق كليكما متمنياً لكما وفور الصحة ودوام التوفيق وطول البقاء .

عن البراميه — في ٦ كانون الاول سنة ١٩٥٦

اخوك
مبارك ثابت
لبناني

٢٠

اخي الحبيب

امعالياً اكون ان صدّرت كتابي اليك بهذه الالفاظ المعبّرة عما في اعماق النفس من مدلولاتها القارّة : اخي اني امي صديقي حبيبي الى ما بشاكلها من كلمات تعني المحبة والاخلاص والعناية والحنان وبذل المعروف تطوعاً بلا سؤال مني ولا توقع مكافأة منك . اني وايم الحق لم القَ من أب وأم واخ وصديق ما لقيته والقاه منك ايها المفضّل على كل حبيب . لقد صغرت في عين نفسي على قدر ما كبّرت نفسك في عيني وعلى قدر افتخاري بمؤاخاتك ومصادقتك وولائك وعطفك وصفاء مودتك وعلوّ اخلاقك لم اشعر بمثل هذا في وجه غيرك ولم اقل مثله لغيرك الا واخذني الندم عليه اذا وقع لاني خبرت كثيرين فلم اجد الذهب المصفّى الا عندك فقليل كل ما اقوله فيك واقل كل ما بطاقتي من الشكر لك والثناء عليك .

لا اكتفي برسائلك لحصول الاطمئنان الى سلامتك وسائر احوالك حتى اسأل عنك كل قادم من جبيل ومن اقلم جبيل وكل مارّ به ولو طائرًا وريحاً ونسيمًا وغيمةً كائناً لونها ما كان انه مرضيّ ومحبوب . قرأت رسالتك الاخيرة فرأيتك مثقلاً بالمهمات فلم ارحمك ولا اشفقت عليك من تعب ومفاعيل تعب لعلمي بما لك من قوة الارادة وعلوّ الهمة والاستعانة على امورك بتأييد من الله يؤتيه من عمل في سبيله وتوكل عليه ، بل سألت لك دوام نعمته التي تقوّيك على النهوض الاتمّ بكل ما ألقي عليك من اعمال خدمتك الشاقة والمستمرة فانه تعالى لا يضنّ على خادم له امين بما تقتضيه الخدمة من صحة النفس والبدن ومن جلَد وتبصّر فضلاً عن اللذة والسلوة المفاضتين بتوقع الثواب المبني على الفضائل الاساسية العليا الايمان والرجاء والمحبة . وما اكثر ما لديك من اسباب التعزية والفرح في متاعب الاعياد بالحفلات التقوية الشائقة في كنيستك الاثرية العظمى[1] حيث تقف على المذبح الكبير ووجهك الى

(١) يريد بها كاتدرائية مار يوحنا مرقس الأثرية — في جبيل .

الشعب فترى الكنيسة مليئة بالمؤمنين رجالاً ونساءً واطفالاً يصغون الى ما يصنع على المذبح من خدمة الذبيحة الالهية المقرّبة عن الخطايا والى ما يلقى على سمعهم من تعاليم الرب المذبوح عنهم : كلمات تنطلق من فم راعيهم الغيور كالاسهم تنفذ الى اعماق الضمائر والقلوب فتضرم فيها المحبة للفادي الالهي المحبّ الى اقصى غايات الحبّ فيتسابقون الى منبر التوبة حيث تتفجر ينابيع التعزية السماوية لارواء ظمأ الرعية والراعي على السواء .

وما اجمل هذا الاجتماع في كنيستك كل مساء من شهر مريم المبارك اذ تتجلّى المحبة الابنية والاكرام والتعظيم للام الجليلة العامة سلطانة السماء والارض بالاناشيد والتراتيم وانواع الازهار النفسية والنباتية من كل زينة تُخصّ بها شهر ايار . فالى العذراء القديسة شمسَ ايار الجميل المشرقة اروع تصرعي لتبسط عليك جناح حمايتها وتسلك بثوب العافية والوقاية من كل اذى وضرّ . وتتمتع في حياتك الغالية فتطول نافعةً على قدر ما يشتهيه ويلتمسه الذي اتّ سنده وفخره ومحبوبه .

اخوك

مبارك ثابت

لبناني

انا وقد جاوزت الثمانين لا يحق لي ان اشكو من امر لا من جهة الصحة ولا من غيرها بل اشكر الله على ما هو لي من فضله وجوده مما لم استحقه من وجه ولا سيما ما وهبني من اخوّتك وصداقتك ومحبتك وبقائك وبقائي لانعم بذكر معروفك وبرؤيتك المحبوبة من حين الى حين وبرسائلك الشائقة تُفيض عن ريح مسك تشمه الروح فتستعيد النشاط بعد فتور .

عن البراميه — في ١٣ ايار المريمي الشهي ١٩٥٧

٢١

ابت العزيز

صباح خير وتمن وفرح

أصدّر كتابي اليك بهذه التحية اللبنانية القديمة التي لا تعتق جدتها وان غدت مبتذلة (لا عندي) ذلك لاني بعد مخاطبتي الحبيب الاول الاعلى والاغلى بالتأمل والقداس وصلاة الفرض منتهياً عند تبلّج الصبح تبلّجتُ الى الحبيب الثاني ، اليك يا قرين الروح فاخذت القلم وكتبت تحية الصدر ورأيتها حسنة .

بسطت امامي اربعة مكاتيب من قلبك المحب وروحك العالية وانشائك

الفاتن واسفت لما فرط من سكوتي على الاربعة الى الساعة . واردت ان اثني على نفسي باللوم فتنصّلت وقالت : لا تلم الا خيانة ذاكرتك وتراكم اشغالك وتضافر كانون وشباط على حطم قوتك . عدوان للكهولة الحساسة اجارني الله من شرّهما وردّ كيدهما الى نحريهما . تصرّم عمر الاول ونصف عمر الثاني وجُعل النصف الآخر « صراخاً عليه » .

في مكتوبك الاول تسأل عما انتهى اليّ من اجزاء « المشرق » لتعلم ما نشر فيها من رواية هيفاء . الجواب : ثلاثة اجزاء . اولها آذار ونيسان سنة ١٩٥٢ . ثانيها ايار وحزيران سنة ١٩٥٢ وفيهما شيء من الرواية . ثالثها تموز وآب وقد اخلته هيفاء هرباً من حر الشهرين .

وقلت ان « خطاب الصوم » يتم نشره في اواخر كانون الثاني وتتحفني ببعض نسخ منه مطبوعة على حدة فانا بانتظار ما وعدت .

« معارضة نص كتابين مخطوطين بكتابين مطبوعين »[1] وصلني بالبريد دليلاً على عيلك الى « المعارضة » . عارض ما شئت فمعارضتك لذيذة ونافعة . وخطابك لاصحاب السرقة الادبية له وقعه الحسن لكن السرقة لا يردعهم تشهير ولا حبس لان السرقة مهنة رابحة تغر اصحابها بالربح وتعصب على بصائرهم حجباً طول الخسارة .

سرني عزمك على الاستراحة من القاء الرياضيات الى ما بعد الاسبوع الاول من الصوم . لعلك تكسر من حدة حلاوة السكر الذي تشكو من ثقالته . شفاك الله .

وفي مكتوبك ٢٤ كانون الثاني الصادر عن دير الناعمة . فيض فن عواطف الحب والاخاء والاخلاص وتذكير لي بالواجب الانساني الذي قمت به شهراً واحداً من مدة الحرب الاخيرة ايام أمطرت الدامور وجوارها وما يليها الى الجنوب من الساحل قنابل نارية حدامة تُقذف اليها منقضّة كالصواعق ليلاً ونهاراً من البحر والبر من كل صوب . فهرب من دير الناعمة من هرب فقلدت نفسي وكالة الدير وحولته بمشورة الله وحده الى ملجأ تحصّن فيه الف ومئة نفس ملهوفة من كل جنس ومذهب يطاردهم الموت والجوع والذعر فكان لهم من روح مار جرجس وصهيل فرسه ما باعد عنهم الرعب واليأس وضرب من حولهم اسوار الأمن ودرّعهم رجاءً وشجاعةً . فانت تمدحني لهذا وليس الفضل لي ولا الثناء بل للقديس فارس الدير صاحب العجائب الذي تولّى

(١) مقال ضاف للاب انطونيوس شبلي نُشر في مجلة « المشرق » ثم جُمع على حدة .

حراستي وحراسة معاوني من اخوتي الرهبان ولا سيما الاب نعمة الله العريضة[1] الذي أبدى جرأة بطلية اذ كنت اكلفه الذهاب الى بيروت فيذهب ويجيء وقنابل الطيارات تتساقط حول سيارة الشحن وهو على ظهرها كمار جرجس على متن حصانه لا يدخل الرعب قلبه ولا توهن الشدائد عزمه .

وهناك رجل لا انسى فضله ولا اقطع شكره هو يوسف منصور عيد من الدامور ألقى الي بسبع عشرة الف ليرة جعلها وديعة عندي وقيد تصرفي في اشد الاوقات حاجة الى المال لاطعام البؤساء من اللاجئين لاني ما وجدت في خزانة الدير غير سبعين قرشاً ورقاً نقدياً وبعض صكوك على ورق . فاقتطعت من القيمة الفاً وسبعمئة ليرة لسد العوز واخفيت بقية المال لصاحبه في مخبأ يعرفه . وأنت نفسه الكبيرة ان تأخذ وصولا بالقيمة التي انفقتها لكي صاحب المقام يسر لي مثلها وزيادة قبل انصراف اللاجئين فاوفيته اياها رغم تمنعه من تبرعاتهم ونذورهم — اقرأ ولا تذهب مع الملل كل مرة اكتب لك ما يملّ .

وايضاً في المكتوب نفسه ترغب الي ان انشيء مقالا تاريخياً لذوي شهرة الفضل والفضيلة من رهبان دير القمر الراقدين ولا سيما الاب اغناطيوس شكري أبعدهم شهرة في الرهبانية وخارجاً عنها . ان البلوغ الى هذا الغرض يقتضي استفاراً وتطوافاً وتنقيباً مما لا تطيقه السن الكبيرة والصحة المائعة والاشغال الملازمة . لكني سأجرب الحصول على شيء بالكتابة فان انتهيت الى فائدة ولو قليلة فعلت . على ان املي بالحصول على تاريخ المولد والانضواء الى الرهبانية والتقيد بالنذور والتلبس بالكهنوت المقدس وتاريخ الوفاة وما الى ذلك من زمان ومكان ضئيل جداً . لان سجلات الاديار قلما حوت من هذه الاحداث المطلوبة التي بخلوها يجيء المقال هذراً لانها منه بمثابة الاساس من البناء .

الى مكتوبك ٢٩ كانون الثاني سنة ٩٥٣ . سؤال عن الطيب الاثر المطران بطرس الزغبي وعن المرحوم الخوري الياس الحاتك وعن تدريسي في قرنة شهوان : (لا تجفل) فالجواب قصير : عرفت المطران الزغبي كاهناً ومطراناً كان متكملاً العلم والتقوى ولين الجانب ولطف المعاشرة . واذكر انه كان من فاحصيّ في بكركي وشاهداً باهليتي للدرجة المقدسة . اما الحملة عليه فغائبة عن ذهني . ومدرسة القرنة ما دخلتها مدرساً ولا دارساً في

(١) هو الاب نعمة الله جبور من قرية عربة تزخيا — بلاد الجبة — المعروف بكبر جسمه وجمال طلعته وقوة عضلاته وجرأة قلبه وسرعة نخوته .

عهده بل زائرًا في عهد السعيد الذكر المطران نعمة الله سلوان.

وايضاً في مكتوبك هذا حديث عن رواية تمثيلية مدارها على طفولية العقل لابن العبري. تقول ان حضرة الاب بطرس ساره ألحمها مقالا نشره في «السنابل» فانا لا اذكر اني وضعت الرواية ولا انها مثلت في دير غوسطا. وهب انها لي فلست بعاتب على الصديق القديم الاب ساره في سرقته هذه غير الثابتة ولو ثبتت لاني لا اطلب كرامتي في ما اكتبه بل كرامة الرهبانية العزيزة احسنة اليّ فوق الاستحقاق. فسيان في نظري ان تُنشر كتابة باسمي او باسم سواي من اخوتي الرهبان لحصول الغرض الذي اتوخاه وهو مجد الله وتعظيم الرهبانية وذلك حاصل في الحالين. فليشكر بالمسيح ايّ كان. ويا طالما حثثت قلمي لسائليّ بعدة تآليف وعدة تنقيحات تآليف وتعاريب لو رأيت تصحيحها بالحبر الاحمر لقلت انها وضع جديد لا تنقيح. وما اكثر المخطوطات التي غيّبتها عن نظري أيدي الاختلاس. وانا اقرأ ما نشر منها بالطبع ولا اطالب الخساسة بل ارحمها واقول حسبها قصاصاً ان تكون خساسة. ولا يدخل فيها الاب ساره حتى في ثبوت اعتدائه لانه صديق وحبيب وتلميذ قديم فما يكون قد فعل الا لعلمه باني لا استاء بل أسرّ بحسن حيلته وبراعته في سرقته (غير المحققة) اذ عرف كيف يغطي وجهها بقناع «الالحام». ثم بعد فوات الوقت يكشف القناع لك بكلمة فيه حتى عرفت ما كانت وما صارت. ثم يدلي باعتذاره الجميل اقرارًا ببلوغ محبتي له نخم الرضا بانتحاله بعض ما ملكته بكد القريحة والقلم. فذره يا شبلي واغتفر له من اجل ما ذكرته لك من اسباب الاغتفار. وقد يكون بريئاً من تهمة السرقة وما يكون (في الارجح) الا مازحاً معك اثارةً لغيرتك واختبارًا لنخوتك ومروءتك.

لقد اسهبت في بيان مطلوبك برسائلك الاربع الحافلة بالأدلة الدامغة على ما اوتيته من صفاء النفس وجمال الخلق وغزارة الادب وخلوص المحبة والاستمرار في رعاية عهود المودة والاخاء والولاء. فدعني الآن اعترف لك بعجز قلمي ولساني عن استيفاء ما لك في قلبي من حبّ وشكر واعجاب وفخر. ولو استطعت ان ترى بالباصرة ما ترى بالبصيرة لرأيتني واياك واحدًا مرأى العيان فانا لك كما انت لي الى المنتهى. تقبيلة حارّة من شفتي.

عن دير البرامية — في ١٤ شباط سنة ١٩٥٣

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٢٢

ابت المحبوب وشقيق الروح الاعز انطونيوس شبلي الوافر الاحترام

لديَّ كتابك الموفد اليَّ في ١١ آب سنة ١٩٥٨ تلقاه الفؤاد بفرح كثير بوقوع النظر على خطه الجميل في الغلاف من قبل فض ختامه . انه من احبّ الناس اليَّ وأرأف واوفى اخ وصديق . وكنت اود لو حدثتك مدة في جواب اكتبه في الحال لكن اشغال الثوار الغادرة وخشية تعدياتهم المرهوبة باعدت الناس عن دخول صيدا الا لاضطرار وبكثير من التحفظ والحذر لان للثائرين في داخل المدينة حكومة ثورية ومحكمة تتولى القضاء واعوان مسلحين يقبضون على من شاؤوا واستضاعوا ويقيدونه بالقوة الى محكمتهم واسعد المقبوض عليهم من يجدون معه مالاً او متاعاً فينزعه قهراً . اما من لم يشتر نفسه اذ ليس له ما يشتريها به فيضرب بالعصي ضرباً مشبعاً لا رأفة معه ويسرَّح وفيه حياة . ولدى الاعوان اسماء مطلوبين باحدى التهم كأن يكون المطلوب كتائبياً او قومياً او مشكوًّا ولو بكلمة قالها ضد زعيم الثورة او ثائر سوريّ او مصريّ او عبد ناصري . لذلك ما احببت ان اكلّف احداً بايصال مكتوب الى بريد صيدا ولا الأخ الياس ايضاً لئلا اصير سبباً لوقوع ما لا أحبّ .

ان الاحداث الارهابية والتخريبية تقع عادة بالقرب من البرامية واحياناً حواليها لكن البراميه نفسها لم يقع عليها اعتداء ولا خوف فيها ولا اضطراب وحتى اشتد ازيز الرصاص ليلاً او نهاراً فاهل البرامية لا يقفون في مواضع يخاف عندها الاصابة بطائشات الرصاص . وحتى الآن لم تهدد بأي اعتداء او هجوم ، فديرنا والقرية بمنجاة عن الاحداث وعلى عادتنا من السكينة والركون الى السلام . على ان المحنة المليمّة بلبنان لا يمكن ان يواجهها بسلا ترجع وانكسار قلب له ذرّة من الشعور فكيف بقلب حشو تجويفه شعور !

هاك الآن حديث الصحة لانك تلطفت بالسؤال عنها : منذ شهرين رأيت ورماً في قدمي اليمنى فعرضت الفضلة الرقيقة للفحص فثبت وجود النزلال فلزمني الاقتصار من الغذاء على الحليب والكوسا المسلوق وبعض الفاكهة. ولم استطع الاكثار من تناول الحليب تأميناً للتغذية فحصل من نقص التغذية ضعف عاون نشوفة العروق (الشرايين) على اعادة دورة الدم فأدى هذا التعاون الى سقطتي مرة أولى فجأةً في ممشى الدير وغياب وعي فحُملت على هذه الحال الى سريري اشبه بميت حيث عاودني الوعي فرأيت الدم يسيل من شجة في رأسي فسألت ما هذا ؟ فقيل انهم وجدوني في الممشى مستلقياً على ظهري

لا اعي على شيء . قمت وانا ايضاً لا اعرف اني سقطت ولا كيف ولا متى . استُدعي الطبيب من صيدا فتحص الضغط والنبض والقلب فقال : ان مبلغ الضغط ١٣ وان القلب صحيح لا خلل فيه . وقصر علاجه على تضميد جرح الرأس . وبقيت اعالج هذا الجرح الذي يسير بطيئاً نحو الشفاء .

وكان اليوم الثامن عشر من آب وانا اقرّب الذبيحة الالهية الساعة الخامسة صباحاً في معبد الدير وقد بلغ اوان تناول الشعب فأخرجت الحق لاناول الاخ الياس وقد فتح فاه لقبول السرّ الاقدس وقد اخذت القربان الاقدس بين اصبعيّ لاناوله استمهلته قليلاً واسندت رأسي بين يديّ على المذبح وانا لا ادري لماذا . وما افقت الا وانا ممدد على سريري في غرفتي وبدلة التقديس عليّ . وفي الجهة الأخرى من رأسي شجة يسيل منها الدماء وأخبرت باني انقلبت عن المذبح مغشياً عليّ فنزعت عني البدلة وذكرت اني لم استوف تناول الاسرار فقمت الى المذبح وتناولت الجزء الاخير من الاسرار والغسالة وعدت الى سريري وما هي الا هنيهة حتى اقبل الطبيب واجرى فحصه الطبي وغرز ابرة دواء في جانبي الايسر وكتب وصفة علاجات واوصاني بالا اجعل فترة من الوقت بين نهوضي من سرير الرقاد وبين صعودي المذبح للتقديس حتى لا يسبق التقديس تعب جسم من مشي او تعب رأس من صلاة ، وان يقف الاخ الياس من ورائي امام المذبح ليسندني فلا اسقط الى الارض اذا فاجأتني غشية من مثل ما حدث في ما مضى . ففهمت ان الحادث لا يبعد ان يتكرر وان يكون أشد وابلغ وايقنت ان ما اصابني انما كان انذاراً من رأفة الله لاكون دائم التأهب للرحيل .

واذ صرت الآن على حال اتمكن معها من الكتابة فاليك انت يا احب الناس اليّ واوفرهم عطفاً عليّ واكثرهم فضلاً واحساناً اليّ . اليك أولى كتابة ازفها اول ما تمكنت بعد وعكاتي من امساك القلم وجرّه على قرطاس . اسأل الله ان يباعد عنك كل غمّ وهمّ وضيم ويمسح على سكّرك المرّ بكف الشفاء ويفرّح قلبك بهناء عيشك وطول بقائك . ان في سلامتك وطيب عيشك تخفيفاً او ذهولاً لما يرسله الله لي من محنة لتمحيصي : فاسلم خليّ البال يا قرّة عين

عن البراميه — في ٢٢ آب سنة ١٩٥٨

اخيك
ثابت — شبلي
لبناني

٢٣

الى حبيب القلب وشقيق الروح الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

تحية اخ محب ومشتاق وسلامة من فضل الله الى شفاء تام وركون الى عود الصحة وفرح وسلام .

في مثل حالك من المرض العارض[1] لا وسيلة للطمأنينة ورد الخوف الذي يغلب ان يتسلل من ثغرة الوهم لا وسيلة ابلغ من التوكل على الله والتسليم لمشيئته القدوسة وقرع باب رحمته الذي وعد بان يفتحه لقارعه بايمان . انت وانا نتفرع معاً وكثير من المحبين والاصدقاء والله يحبُّ الالحاح في الطلب . ولنا في الانجيل الكريم مثل المرأة الطالبة حقها من خصمها لدى قاضي الظلم الذي مع عريه من العدل قضى لها من اجل الحاحها وتبرّمه من تكرير الطلب .

حلّت لقوة بالطيب الأثر المطران يوسف الدبس وكنت آنئذ في مدرسة الحكمة ولم تكن الكهرباء ولا العلاج بها وشوّهت اللقوة فمه واحدى عينيه فاضطر ان يمسك جفنه بملقط صغير من فضة ولم ينقطع ولو يوماً عن التأليف والمطالعة والتفكير وعاش على ذلك سنين عديدة وأتمّ ما كان آخذاً فيه من تآليف تقتضي تفكيراً عميقاً وبحثاً طويلاً ودقيقاً ولم يكن لمرضه هذا اقل صلة بوفاته ، بل كانت وفاته بتضخم حصاة في الكلية أجريت له عملية الشق لاخراجها وكان ان ضاق جسمه عن ان يسع روحه الكبيرة فخرجت من سجنها الضيّق الى مقر الابدية السعيد الذي لا يحصر بتخم .

اما اليوم فلحادثك الخفيف معالجات شتى ضامنة للشفاء باذن الله . وقد رأيت الولد خليل من البراميه يعالج خده بالكهرباء[2] وهو لا فكّر ولا حمّل دماغه شيئاً من التعب والهمّ اصابه مثل ما اصابك وقد تحسّنت حاله وصار شفاؤه مرجوّاً في القريب . فثق برحمة الله واجعل نفسك واحداً من جماهير غفيرة كانوا يتألبون حول الرب يسوع وليس جميعهم من المؤمنين بالله فيتحنن يسوع عليهم ويشفي جميعهم بكلمة من فيه او بنظرة من عينيه ، افلا يتحنن كذلك على خادمه الامين وابنه البرّ القائم بخدمة النفوس المحبوبة المشتراة بالدم الثمين .

(١) يريد بالمرض العارض « اللقوة » التي حلت بالأب شبلي واخيراً شفي منها بعلاج الكهرباء .
(٢) قد رأيت صدفة — انا الأب شبلي — هذا الولد مع بعض اقاربه في اوتيل دير القدين اخبروا الأب ثابت بمرضي .

انا مضى عليَّ شهر لم يعاودني فيه الاغماء فليكن ذهابه مؤيدًا وليعصبه اغماء لا صحو بعده حتى لا ينزل ضيفاً على احد من الناس . في كل فرصة جد لي بكلمة اطمئنان الى سلامتك .

واسمح لي الآن ان اراحم الكهرباء على خدك فاطبع عليه تقبيلةً احرّ من الكهرباء . شفيتَ باذن الله وبقيتَ سندًا وقرّة عين

عن البراميه — في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٨

لاحيك
مبارك ثابت
اللناني

٢٤

اخي المحبوب الاب انطونيوس الشبل الوديع حرسك الرب وقوّاك

كيف كنتَ بجانب شباط المقصوف العمر المعدوم العافية وكيف كان بجانبك . انت في جبيل ادنى الى الشمال مني اليه في البراميه لكنني على ذلك لم اكن اقل منك تأثرًا بريحه السامة وصقيعه القارص لكوني اخف منك لحمًا وارق جلدًا لقي السن الطاعنة من اشد اعوان الريح الباردة على التغلغل في اجسام الشيوخ الى مخ العظام . فان تحت الملابس الصوفية وفوقها غلالةً من جليد ملتفّة على الجسم وعلى كل من اعضائه كأنما قوام الكل جليد . ذكرتُ مرارًا قول الاعرابي :

اذا جاء الشتاء فدفئوني فان الشيخ ينفعه الدفاءُ .

اين كان الدفاء في شباط سنة ١٩٥٩ مَن عرف له مقرًا او ممرًا . لا شمس بارزة ولا وراء غيم شفّاف . اذا برزت هنيهة من شق غيمة لطمتها برودة الريح فارتدت الى مخبأ بعيد .

قيل ان راعي ماعز حبسها ثلج كثيف في منطقة جبلية فلبثا بضعة ايام يعانيان البرد مرتجزين . ومسّ الجوع رعيتها قابعةً في المراح وبينما هما حول نار يصطليان في عباءة من دخان قال احدهما لرفيقه : ما رأيك يا اخي في الشمس هل تطلع بعد على عادتها فنرى اشراقها في الرقيع ؟ قال الآخر لا تقنط من رحمة الله سيأمرها ان تطلع لكنها ان طلعت فلا حرا ة فيها للدفاء .

نحن كذلك كنا في نهارات شباط ولياليه نتساءل هل تطلع الشمس بعد احتجابها الطويل ؟ وهل يكون لها من الحرارة ما يغني عن الاصطلاء في فصلي الربيع والصيف المقبلين ؟ هنا موضع القول مع الشاعر :

يتمنى المرء في الصيف الشتا واذا جاء الشتا اكره
ليس يرضي المرء حال واحد قُتل الانسان ما اكفره

اظن انك لم تكترث لشباط وزمهريره لانصرافك الى التبحّر في ما لديك من مخطوطات تخرج مكنوناتها القيّمة بقلمك البارع كمن يستخرج كنزاً ثميناً كان مخبوءاً في العمق تحت التراب . عافاك الله وابلغك الى ما ترومه من استخراج الدفائن ذات الشأن الكبير .

صحتي اليوم مرضية وحتى الساعة لم يعاودني الاغماء المفاجئ ولي من بُعد عهده وقوة الله ما اكاد معه اعده قد انتهى وسد طريق العودة عليه . فاخبرني عنك وعن سكّرك المرّ هل توصلت الى الحدّ من سورته ؟ وهل تقاتله بالحرمان من اي طعام يريده او يترك له قوة ونشاطاً ؟

حضرة رفيقيّ الاب مارون ابي كرم (برمانا) والاخ الياس كلاهما من رعية السكّري وبينهما وبينه شبه صلة رحم فتارة يريهما شدةً وتارة ليناً واللين مداه اطول فيأذن لهما بكثير من اشكال الطعام العشبي واللحم والخبز المحمّص والمحروق . الاخ الياس يقرع الجرس الكبير ثلاثين قرعة ويزيد ولا يأخذه تعب . وانت اذ تركض قلمك هل ينال منك التعب او تشكو من اللهث ؟ كلا فانت بخير ان شاء الله .

لا شك انك تلتقي بالصديق الكريم الجليل الاب عبدو خليفه ولك من بهجة لقائه ما ينسيك السكّري ويكشف عن قلبك كل همّ . فألق اليه اطيب تحياتي حفظكما الله قرّة عين لأخيكما .

عن البراميه — في ١٣ آذار سنة ١٩٥٩

مبارك ثابت
لبناني

٢٥

كتبت — انا الاب انطونيوس شبلي — للاب ثابت اخبره بموت اخي وهيب شبلي كاشفاً له عما نالني من شدة الحزن على فقده لانه كان لي اخاً وصديقاً ورفيقاً بي رفيقاً ومعيناً يسدي اليّ بعض المنافع ويبذل جهده في سبيل خدمتي ومرضاتي ... فوردني منه هذا الجواب التالي :

ايت المحبوب انطونيوس شبلي رئيس انطوس جبيل الوافر الاحترام

بدمعة في العين وحزة في القلب تلقيت خبر وفاة المرحوم شقيقك وهيب . يغني عن البيان ان اخا اخي هو اخي ، فكلانا فقدنا اخاً وكلانا نحترق حزناً

على فقده . لا الومك في ذهابك مع الحزن ابعد مذهب . انه الشقيق والرفيق والصديق والعون على الضيق والنافع والمرتجى نفعه ، لكنّ هذه المزايا وسائر الخصال المترفة والصالحة والممدوحة لا قيمة لها باعتبار الموت الذي لا يرعى ذمةً وسواء عنده الحصاة والدرة ؛ وكلنا نعلم ذلك ، واننا قيد حكمه ولا مفرّ لاحدنا من وثبته ؛ ولا تعزية لنا في وقوع نكبته الا الرجوع الى الايمان معلمنا بان من آمن بالمسيح الرب وان مات فسيحيا بل انتقل من الموت الى الحياة . ومتى كان المتقل كفقيدنا العزيز الذي نشأ في بيت مؤسس على صخرة الايمان ، وتلقّى منذ المهد افضل تربية وغذي بمخافة الله مع الحليب ومزجت له الفضائل بالدم الساري في عروقه ، واعتاد السلوك في طريق الرضايا اقتداءً بمن بدأ فيها من اسرته وتخلقاً باخلاق الفضلاء من اهل محيطه ، فلا يسوغ لنا المغالاة في الحزن عليه بحجة الطبيعة المحبة ؛ لان هذه المحبة الباعثة على اشتداد الحزن انما هي محبة لانفسنا لا للفقيد الذي صار يتنعم بالسعادة الدائمة والمجد الارفع مما لا رأته عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب انسان . ولم يبق موضع لاعتبار ما كان ينالنا منه من النفع به ، لان النفع الذي يصيبنا من زلفته لدى منبر الرب يسوع اعظم بما لا يقدر من نفعه ايانا في هذه الحياة الزائلة بما فيها من نفع وضرر . انه في السماء حيّ بحياة لا تنقضي ولا تضعف ومحبته حية كذلك لا تنقضي ولا تفتر ، بل تشتد وتعظم على قياس ما تنقى وتخلص ، ويصبح شفيعاً لنا مقرباً من الله مقبول الشفاعة لديه يسأل لنا حاجاتنا دون ان نكلّفه لانه يعرفنا ويحبنا محبةً لا تشوبها محبة الذات بل يحبنا لاجلنا فقط .

هذه تعزيتنا مبنية على الايمان تبرّد ولا ريب من لظى اللوعة المألوفة لطبيعة الانسان . فما احرانا بان نقرّب ذبيحة خسراننا ارضاءً لله الذي بيده امرنا واليه مرجعنا ، الخالق المبدع والمعيد المحيي والمميت .

وكل اخ مفارقـــه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

غير ان هذا الفراق لن يطول وان تمنينا ان يطول فسوف نجتمع لدى الله اجتماعاً لا فراق بعده ولا خوف من فراق . رحم الله الفقيد الكريم وأعاضنا ببقاء اقاربه واصدقائه واهل محبته ، وافرغ على نفوسهم سوابغ النعمة المغرية والاعفاء من الفواجع والمكاره .

عن البراميه — في ٨ نيسان سنة ١٩٥٩

شريكك واخوك في الاسى
مبارك ثابت
لبناني

٢٦

اخي الحبيب وابن الجليل[1]

اسألك عن صحتك البدنية لا عن بالك ولا عن خلوّ قلبك من الغمّ ولا عن رأسك من الهمّ لئلا احبز لنفسي العبث اذ لا يفوت علمي ما عندك. فلم يبق الا ان احضك على السلوان لكن معالجة هذا الامر تريني نفسي صغيرةً في نظري لاني احضّ غيري على ما يحضني الغير عليه فارى العمل به عسيرًا بل محالاً لمخالفته الطبيعة الانسانية وبعض الامزجة الشخصية التي لا تملك الافلات من ربقة الواقع وان جهدت.

لا اومك على رقة الشعور لان عندي من ذلك حملاً لا اطيقه وكم عالجت التحجيب منه فما كنت الا زائدًا فيه وقد صرت منه الى الخجل امام الناس اذ يغلب عليّ ان يخنقني البكاء متقدماً او مجتزًا او واعظاً فاشهق في البكاء ويلزمني السكوت ولا ادري ما يكون من حكم الناظرين والسامعين ولا يبعد ان يكونوا هازئين. ما الحيلة والطبع قويّ وثائر ولا موضع لحزم الارادة عند المفاجئات.

وعند التبصّر في مثل هذه الخُلق ومثل هذه الاحوال يزول العجب والخجل ايضاً ويجوز الافتخار برقة الشعور وشدة التأثر واهتزاز الجسم بالبكاء وسخاء العينين بصبّ الدموع لاننا في وادي الدموع، فليس في البكاء خروج عن مقتضى الحال بل في جفاف مجاري الدموع الخروج. غير ان العاقل يعرف طريقة التعديل ليبرّد الدمعة ويقطعها احياناً ولا سيما بالرجوع الى تعليم الايمان. كل يموت نصفه الحيولي فقط دون الروحي فان النفس على صورة باريها الذي لا يموت. وان كانت كذلك فليس الموت موتاً بل انعتاق عنصر باق من عنصر مائت. والمهمّ ان يصير المنعتق الى سعادة لا تزول وهذا مرجوّ وموكّد لكل من يموت على الطريق المؤدي الى الحيـــاة. ومثلك من ارباب التقوى والتفكير لا يجهل كوننا على الارض غرباء وعلى هذا تعليم التقديس بولس الرسول العظيم مبنياً على العقل السليم والوحي الالهي صرّح به يعقوب اسرائيل اذ قال لفرعون سائله عن عمره: ايام غربتي مئة وثلاثون عاماً. وكذلك قال داود يخاطب الرب: غريب انا عندك ونزيل. ونحن نغبط ايّ غريب عاد الى وطنه. افليس الأولى بنا بان نغبط أخاً لنا يغادر ارض غربته عائدًا

(١) انتقد الأب ثابت هذه الرسالة الى الأب شبلي اثر فقد شقيقه وهيب شبلي المتوفى في ٢٤ آذار سنة ١٩٥٩، وقد بلغ التأثر منه اشده.

بالموت الى وطنه السماوي للحياة ؟ فما حزننا على عزيز نفقده نحزن عليه في الحضر انما حزننا في الواقع وليد محبة الذات التي تكره الخسارة ايّة كانت .

فاحبّ اليك ايها العزيز الفهيم ان تنفخ ريح هذه الافكار على غبار حزنك فيتبدد باذن الله او تتغير مواقعه في الاقل . ويفيدك كثيرًا ان تتلهى عن افكارك المحزنة باعمالك اليومية من كتابة وقراءة وجلوس للزائرين وخروج للزيارات ولا سيما زيارة القربان الاقدس مولي كل تعزية علوية وسلوان . واذ يلزمك ان تخلد الى نفسك ساعة الرقاد وذكرت ما يؤلمك ذكره فاذكر وجوب الخضوع لاحكام العلي لكونها ازلية ونافذة وهي دائمًا في وجه الخير وان بدا للوهم كونها في وجه ضير .

قال المرحوم فيليب الخازن لتقيقه المرحوم فريد وقد انتهيا الى كرسي المشنقة : لا تحزن يا اخي فهذا الفراق الذي يبعد احدنا عن الآخر فما هي الا هنيهة عشر دقائق في الكثير حتى نلتقي عند الله في مقر السعادة الخالدة مجتمعين الى الابد .

واخبرني احد ابناء الشيخ يوسف فرنسيس زعيم اهل البقيعة في الجنوب ان هذا الرجل العظيم كان كبير العقل مشرق الجاه رزقه الله ستة ابناء ذكورًا وابنة واحدة هي عليا . كانوا كلهم من حوله كاسوار من نحاس فضلاء وفيهم الشاعر والناثر والمؤرخ ولكل فرسه وفروسيته وسيفه ورمحه وقوة البدن وجمال الصورة . وكانت اختهم عليا ادراهم بركوب الخيل وأجرأهم في القتال وابعدهم شهرة في سباق الخيل واسبقهم اقدامًا وهجومًا وظفرًا في الكفاح . رأيتها انا مرتين ثم اجتمعت بثلاثة من اخوتها بكل على انفراد اكثر من مرة . فاذا ما رأيته بعيني اعظم من الكثير الذي سمعته بأذني عن ذلك البيت الكبير .

قال احدهم مخبري : توفي اخونا الاكبر فصارت له مناحة كبيرة مدة يومين ودفن واجتمعنا بعد دفنه في البيت ليلًا وكان الحزن يحزّ في قلوبنا والدموع تنصبّ من عيوننا ولا يخرج من افواهنا الا التنهد وآخ وآه . فصاح فينا الوالد وقال : ما هذا الذي انتم فيه من شأن الرجال الابطال ؛ لا اريد بنين من هذا الشكل . ابني قد ذهب ولن يعود وانتم والحمد لله باقون لي فلا تمزقوا قلبي بالبكاء . بل قولوا معي الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركًا . كلٌّ الى عوده اضربوا على اعوادكم وارفعوا اصواتكم بالغناء . وما زال بهم حتى فعلوا وانقلب المأتم الى عرس . وبعد ذلك جثا الجميع على ركبهم يصلون طالبين الرحمة لروح اخيهم مسلمين لمشيئة الله الذي بنى لهم بيت اخ ابديًا

في السماء يشفع فيهم لدى عرشه كجندي باسل اتمّ خدمة ملكه بكل امانة ونشاط فأراحه من تعب الخدمة ومخاطرها وقرّبه ونظمه في سلك الاجناد السعداء المحيطين بعرشه يسبّحونه النيل والنهار بلا فتور .

واخبرتني امرأة ساذجة وفاضلة انه مات لها بنتان ثم زوجها وحماتها وشقيقان لزوجها فلم يعد يفارقها الحزن ولا ترقأ لها دمعة ولا يطيب لها عيش فعراها من ذلك مرض اوهن قواها وكان انها نامت ذات ليلة وجذوات الحزن ملتفة عليها واذا بها ترى في الحلم جميع اولئك المبكين يحدقون بها كالهالة بالقمر وعليهم ملابس ناصعة البياض وفي وجوههم نور ابهى من الصباح وعلى شفاههم ابتسامات السرور وقالوا لها : كيف تبكين وتحزنين لمن صاروا الى مثل هذه السعادة والمجد والفرح . نحن في صحبة العذراء سلطانة السماء ها هي معنا اتت لتمسح الدمع عن عينيك ومدت العذراء يدها ومسحت فوق رأسها وقالت : هؤلاء بني و بناتي اتيت بهم اليك لتوقني انهم معي وفي رعايتي في النعيم . لا تبكي بعد بل افرحي لحظهم السعيد وباركي الله الذي اقامهم شفعاء فيك وفي سائر اقاربهم لتصلوا الى مثل سعادتهم بالعمل الصالح والصبر على ملمات الدهر والتسليم الاتم لمشيئة الله في كل ما يأتيكم من قبله .

فيا ايها الحبيب اعمل الفكر في ما كتبته لك . وخذ لنفسك ما يحسن لديك . واني لواثق بان الله تعالى يريك ما يهوّن الامر عليك ويرد ما فقدته من فرح القلب . هذه هي التعزية السماوية التي يمن بها الله على محبيه المتوكلين عليه . سلمت ولا حزنت وطال عمرك سنداً وقرّة عين .

عن البراميه — في ٢٩ نيسان ١٩٥٩

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٢٧

ابت الاعز واخي الاحبّ اليّ ولي

ما اطيب التقبيلة في جبينك العالي والضمة الى صدر انت في داخله . ابطأت عليك بالمراسلة حتى الجواب على رسالتك الاخيرة الحاملة من اخبارك العائلية ما اذكى في فؤادي ناراً من الحزن لحزنك بفقد من ذكرت من اقارب لك كانوا اعزاء اليك ومحبين واعواناً .

كنت بعد انتهاء رسالتك اليّ اخذت اكتب لك فما كدت اخط بضعة

اسطر حتى وجدت نفسي في حال لا يتسع لي معها الايجاز . جاء حضرة الرئيس الاب بطرس الحلو خلفاً لي في خدمة الدير ، وجاء حضرات الآباء المكلفين بدور التسليم ومراجعة سجلات الحساب استنباطاً لخلاصة اخيرة ولزمني قياماً بحق الواجب واللياقة ان افرغ غرفتي للرئيس وانقل ما كان فيها باستعمالي الى غرفة غيرها ففعلت وحدي لا معاون لي ولا بد من الاسراع فنالني من ذلك تعب لا يطيقه ما عندي من ضعف البدن وصعوبة المتبقي على خوار القوة وكان ان اسراعي في النقل من غرفة الى غرفة اوقع تشويشاً كبيراً وبعثرة في الاشياء المنقولة حتى لم اعد اجد ما احتاج اليه سواء اكان من كتب ام ادوية ام من ادوات كتابة الا بعد تقليب وتفتيش لا توافق لهما والمزاج العصبي والكهولة الجافة .

وكنت اعلل النفس في ما مضى باني بعد مصير خدمة الدير الى غيري الجأ الى اخي المحبوب شبلي فاقضي ما بقي من ايامي القليلة في ما احبه من صحبته وقربه وحماه فاذا نحن متساويان حالاً[1] ليتم لي ما يجب عليّ من التسليم الأتم لمشيئة الله القدوسة . حضرة الاب بطرس الحلو الرئيس الجديد أظهر لي عطفاً اخوياً ووعداً بالبقاء معه والمعاونة على كل حال فله الشكر من الصميم .

ثم شاء الله ان يمتحن صبري ويزيد في اجري . فكان ان شقيقي جرجس والد جوزيف المقيم في دكار جاء بعد ذهاب الاخ الياس ليخدمني مكانه فطابت نفسي بثنائيه في خدمه الدير وسده مسد الاخ الياس في المضي الى صيدا وغيرها في قضاء الحاجات عن خبرة وامانة ونشاط . ودام الامر على هذا الحال وانا اشكر الله لانه تيسر لي بوجود اخي من يخدم القداس كل يوم ساعة اشاء . ثم كان الشقيق دخل في المطبخ ليلاً فاصطدمت قدمه بحافة البئر المرتفعة زهاء اربعة سنتيمترات فسقط ارضاً وصرخ فاسرعنا اليه فاذا هو يشكو من ألم في فخذه ولم يكن باستطاعته القيام فاوقفناه وعالجنا ان نمشّيه فلم يستطع خطواً فحملناه الى سريره واستدعينا مجبراً من صيدا فقال لا كسر في العظم وانما رضة في الفخذ ، ووضع لزقة ولفّ الفخذ وقال : ثلاثة ايام راحة وبعدها يقوم ويمشي . مضت الايام وهو على حال واحدة لا يقدر على تحريك جنبه المعطوب ولا الانقلاب الى الجانب الصحيح ولا يحس ألماً الا اذا تحرّك لتغيير وضع الرقاد .

(١) قد ترك الأب شبلي رئاسة انطوش جبيل في الشهر الذي ترك فيه الاب ثابت رئاسة دير البرامية وبقي كل واحد في مكانه .

استدعيا طبيباً فقال : كسر . وارسله الى بيروت للتصوير بالاشعة فسر التصوير عن كسر مثلث في عظم الفخذ بالطول لا بالعرض . ادخلوه على حساب الصحية في مستشفى بعيدا لبث ثمانية ايام بدون تجبير . وفي اليوم التاسع بوشر التجبير بالجفصين . لُفّ من نصف بطنه الى كاحل قدمه . فلما رأيت ذلك في اليوم الثاني قلت انه ميت لا محالة. الكسر في الفخذ فلّم الجفصين على الظن . وقد تغيرت حاله الى اسوأ . لُفّ بالجفصين يوم الجمعة قبل الظهر فاتته الوفاة يوم السبت عند الظهر . ونقلت الجثة الى البرامية يوم الاحد ودفنت ظهر الاثنين وكان حضرة رئيس الدير غائباً ونعينا الاهل والاقربين فقط رعياً للاقتصاد ولم احد بداً من ان ببذل اعانة في هذا الامر فلم ار اقترض من بعض الاصدقاء اتماماً لما بيدي ولم أطلع الرئيس بعد على تفاصيل ما جرى لاعلم ما اذا كان يتسامح بما اضطررت لانفاقه من مال الدير صار الى يدي في غيابه من بعد محاسبة التسليم . وانا منذ ذلك الحين في قبضة الذهول . وزوجة المرحوم اخي تقاسي من مرض السكري آلاما مبرّحة اخشى ان فقد البصر كلياً ما عدا بثور السكري في مواضع مختلفة من البدن وما عدا الحاجة الى الصالح من غذاء ودواء . وما من سبيل لي الى اسعافها سوى التوسل الى الله الكثير الرحمة والحنوّ مع العزم على اخبار ابنها جوزف بكتابة الى دكار بوفاة والده واشراف والدته على الوفاة . ولست دارياً ما عنده من عوائق عن ارسال مساعدة مالية وعن مراسلتي منذ اربعة شهور خلافاً لسابق عادته . فانا لذلك على قلق من خوف عروض نكبة له في ارض غربته تزيدني هماً على هم .

كتبت لك بهذا التفصيل لا لتشاركني في ما انا فيه من غمّ وهمّ بل لأريك ان البلاء موكّل بكل انسان فيفتر ما عندك من حرّ البلاء . حرسك الرب من كل اذىً وخير وابقاك ملاذاً وتعزية .

عن البرامية — في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٩

لأخيك ثابت

٢٨

ابت الجليل واخي الحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

تقبيلة حارة في جبينك العالي : وضمة طيبة الى صدر اخيك الذي لك في فؤاده محبة حارّة وفي ذهنه صورة جميلة راسخة . ما اجمل البقاء على الوفاء والتواثق بسلاسل الاخاء ! جمعت بيننا المحبة الصادقة والصداقة الواثقة وقيض

الله لكليه تماثلاً في الرغائب والاعمال في تقبل مشيئاته الالهية بكل رضا وامتثال وكان لنا يومان يوم رفع ويوم خفض لاجل نفعنا تقدست ارادته فانها لا تهدف الا الى النفع والثواب ، وان خيّل الى حب الذات كونها اقرب الى الحرمان والعقاب . لكننا نعلم اليقين ان خدمة الرئاسة ان هي الا خدمة وما زاد صاحبها على ان يكون خادماً للغير ، وانها ثوب رخيص ومستعار وموكل به البلى والزوال واي ثوب طالت مدة لبسه وجب خلعه لمصلحة لابسه ، وان كان هذا لا يرى ما صار الثوب اليه من تغيّر ورثاثة .

اما الله الذي يرى الاشياء على ما هي عليه من حقيقتها وبسبب صلاحه الاكمل وعظم محبته للانسان جبلة يديه المتصلة لا يروقه النظر الى عبده في ثوب من الرثاثة بمكان يحسبه العبد افخر لباس ولا يذهّه الى ان ابليس يحاول حمله على الترفع المؤذي اعجاباً بذلك الثوب المستعار . فلله التشكر على ما يريده لنا من عظيم النفع بحطّنا الى المرؤوسية في أدنى مراتبها حيث لا يبقى لنا من سبيل الى توهّم كوننا ذوي اثرة واستحقاق .

وجميل في الانسان ان يكون كالسمكة في الماء اذا كان الصحو عامت على ظهر الماء وان كان مطر او برد هبت الى القعر . وفي الصعود والهبوط صون واتقاء . على اننا نحمد الله الذي مكّننا من الخدمة والخروج منها بلا معرّة ولا لوم . وبعد ان بنينا لدى الله والناس بناءً ينظر اليه بعين القبول والرضا . خدمنا في الرئاسة الوضيعة ونخدم في المرؤوسية الحسنة ونلتمس في الحالين وجه الله . وكلانا كوفئنا ووفقنا الى خلف من اهل صداقتنا والوفاء . وبقي لنا من اتعاب الذهن والقلم وان قليلاً لا يوجب فخراً لكنه ذو قيمة في جانب معارفنا الاساسية . انه ثمرة شجرة لم تقيّض لها عناية بستانيّ جاهد وخبير .

كيف انت والسكّري الغليظ؟وما حالك مع رئيسك الجديد اللطيف ؟ وكيف حال محبوبنا الاب اغناطيوس خليفه (اليسوعي) الخفيف الروح الفاضل الشريف ؟ اليكما جميعاً اذكى تحية واطيب سلام واصدق شكر واحرّ اشتياق .

ان نكن اليوم افترقنا قداد فموعد اللقاء بيننا غـــدا

تحية الى حضرة الاب الجليل الذي هو بصحبتك خير خلف لخير سلف.

اسلم قرير العين يا قرّة عين

عن البراميه — في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٥٩ اخيك

مبارك ثابت

لبناني

٢٩

ابن الرئيف واخي العزيز الاب انستاسيوس شبلي البناني الوافر الاحترام .

نقيبة حارة في جبيلك اعمى . يسائني ابنك ورسائلك التي لم تعد تتعداني الا على اخبار كنون الكلمات السود مصفوفة في السطور. نحزن ولكن لا نذهب مع الناس لان لنا . والحمد لله . من الايمان ما يرفعنا الى حيث نتصاغر في عيوننا الاحداث مهما كانت كبيرة ووحشة . ما اصابنا من نائبات الدهر الا ما هو من طبعه والا فنحن لم يشرب الكثيرون من علقم مكارهه . ولا صبيل بدحسا الله فيه الا ويجعل لنا مخرجاً منه اقله بايلاف النفس عليه فصلاً عن الاجر العاجل والآجل . ونشكر لله تعالى على ايراده اليك مكاره في بعض الاحيان لتذكيرك بداءة الدنيا وتمحيص فضيلتنا عن الصافية وارشادك الى التفكير الصحيح في وجودنا السريع الزوال كالعشب النابت في جفاف من التراب المنصوب لحرارة شمس محرقة يجمل ناضراً ثم لا يلبث ان يلبس صفرة اليبوسة ويأخذ في الانتثار الى الاضمحلال . انما الدنيا غرور .

من الله اتينا والى الله نعود ولو استطاع العقل ان يقلع من مركبنا الانساني ما غرز في طبعه من اشكال الاحساس المتباينة لخلونا من الاحساس بالمكروه ونقيضه ايضاً ولكن ماذا كنا نكون وماذا كنا نصير ؟ مرتبة الجوامد . فسبحان الخالق الذي اولانا الاثرة على سائر مخلوقاته الارضية انه ادرى بحاجتنا الى ما نحن عليه من تغاير الاحساس بالامور المتغايرة مما يحلو ويمرّ ويحزن ويفرح . ان في التغاير لجمالاً . فليس لنا ان نشكو من شيء يقع بمشيئته المنزهة عن خطأ في التدبير فهو الموجد والحافظ والمدبر بحكمته المتعالية عن كل بحث وفهم فأحر بنا ان نسلّم اليه امرنا في كل حال وآن في الضراء والشقاء والمحبوب والمكروه : انه ابونا ووليّ امرنا ولا يرسل الينا الا ما كان عائداً لنفعنا وحسبه احساناً الينا انه اعطانا لنتجاة من غرق الكارثات وهون اليأس المرعب بأطر الرجاء .

يفرّق بيننا الموت فيجمع بيننا رجاء اللقاء فمن تمسك بهذا الخير فقد تمسك بالسلامة والسلام . وهذه الدنيا الغرور :

حي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
طبعت على كدر فكيف تريدها خلواً من الاحزان والاكدار ؟

الا فلنصمد لها بجهاد الابطال فنكسر من صلابة شوكتها ونفوز بأجر

انجهنيين « انا احرك العظيم يا اسرائيل » . على رجاء هذا الامر العظيم نحمل بالصبر الجميل انتقال هذه الدنيا ذاكرين اننا وهي واتقاظها صائرون الى الزوال :

فإما ان اموت او المكـــاري وإمـــا ينتبي هذا الطريق
تعزّ فلا شيء على الارض باقيا ولا أزرُ مما قضى الله واقيا

والموت حاجة للانسان كسائر حاجاته التي لا غناء له عنها فما نفع الايغال في بيداء الحزن اليس افضل منه تقبل الأحكام الالهية بالرضا والفرح على مقدار ما يستطاع من حنق صرخات الطبيعة ؟ الحياة ملك لله وما هي لاحد من الاحياء الا عارية . وما الموت الا استعادة الله العارية انها له فما ينزع من ايدينا الا ما هو له لا لنا . ذلك يكدرنا لما فيه من الحرمان ولكن لا ينبغي ان يسد مداخل العزاء الى قلبنا الحزين ، نخسر الاقارب والاعزاء ولكن يبقى لنا بدل لا يغيّبه عنا موت ولا اغتراب ، هو الله الذي يرافقنا في حياتنا الدنيا . وان شئنا وأقمنا له الطاعات فلا يحبس عنا صحبته الى الابد .

*

اني احمد الله على حفظه اياك من هبوط الصحة بالسكّري وأسأله ، وهو السميع المجيب ، ان يقتلعه من بدنك ويملأك صحة . وقد سرّني جدًا قولك لي : « ارتاح رأسي وتفرّغت نوعاً للكتابة »[1] قوّاك الرب وقوّى قلمك ونفع القراء بمكتوباتك القيمة والشهيّة .

صحّتي من فضل الله مرضية في مثل عمري ، فلم يعد يكرّ عليَّ ما واثبني على غرة من اغماء يشبه الموت الفجائي ، فانا اليوم اعيش كما كنت من قبل عهد الاغماء بشيء من الحذر والتوقي اكلاً وشغلاً . وما يؤلمني الا التشنج العصبي يرصدني مختبئاً بين الفراش والغطاء حتى اذا استسلمت للرقاد واخذني غفو يجذب عروق ساقي بشدة جذباً كأنه التمزيق فاستيقظ مذعورًا ولا يفارقني حتى انزل عن السرير واتمشى مدة بضع دقائق فتستقيم لي الحال واظن انه قد خلّى لي السرير فاعود اليه خالي البال . غرّني . ما اكاد استعيد الاغفاء حتى يعود التشنج فاعود الى طرده بالمشي حتى يغيب . وهكذا دواليك في ساعات من الليل ولا تشنج الا مع الاغفاء . وانا على ذلك ارفع الى الله شكري من الاعماق على ان لي من حلمه إفلاتاً من التشنج العصبي طيلة النهار

(١) من كتاب ارسله اليه وقد بدت على سطوره دلائل حزني على موت اخي وديب شبلي .

واكثر ساعات الليل اذ لا اكون في سبات النوم . فضلاً عن ابعاده عني اي مرض يحوّل عني الوجوه قرفاً او مخافة العدوى . او يكلّف نفقة في سبيل المعاينة الطبية واستحضار العلاج فما ينغّص عليّ العيش الا عجزي عن اشغال الكتابة ألاقي في تركها مرارة الفطام التي اعالج تخفيفها بحلاوة . اللجوء الى الصلاة تأهباً لرحيل ترجى معه الراحة الدائمة لدى الله ارحم الراحمين طويت مسافة العمر الطويلة فلم يبق الا خطوات تطوى بحلم الله وكثرة رأفته بيسير من العناء وعند اتمام الشوط بلوغ الى الذروة وعنده نسيان التعب كأنه ما كان .

تسألني عما اذا كنت حائرًا حدب الرئيس المحترم[1] . فاجيبك اني اعرف كيف اكون مرؤوساً كما عرفت أن اكون رئيساً ، بذلك استميل عطف الله فاذا حصلت عليه فهو الذي يعطف بقلب الرئيس وقد فعل لاني لم ار من حضرة رئيسي ايّ انتقاض من حقي كمرؤوس ... هذا حسبي وجميل لاني اذا لبست ثوباً أزيد من طول قامتي عابني وعاقني ولو كان ملبسه الرئيس لجوده وكياسته . هذا الموجز من القول يغنيك عن الاسهاب الذي طلبته في رسالتك الحنونة . ينبغي عليّ الرضا بكل حال والا فما انا راهب ولا على شيء من الحكمة . ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وراحة القلب من هذا القبيل مترتبة على الارادة وليس على الارادة الجازمة عائق من الرفض او القبول .

ترى في هذه السطور اعوجاجاً لكنه بالصعود وليس يتمّ تقديمه بالنزول بل بالاعتدال وخير الامور اوسطها . هذا لحاجة اليوم وغيره ليوم اللقاء . وتقبيلة في جبينك العالي علامة انك الحبيب المشتهى والمفضّل .

عن البراميه — في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٩

لاخيك ثابت
لبناني

٣٠

الى شقيق الروح حضرة الاب انطونيوس شيلي اللبناني الوافر الاحترام

صوتك بُح ببروز لحمة في حلقك وصوتي بح برفع التوسل الى الله ليمن عليّ بشفائك ويعيد اليك واليّ ما فقدناه من طمأنينة وخلوّ بال . اغتمامي بحادثك شغلني عن الاغتمام لما اعانيه ومن عهد بعيد من قرحة في المعدة وحصاة

(١) سأله هذا السؤال بعد تركه رئاسة دير البرامية وبقائه فيه مرؤوساً .

في الكلية وحرارة في المصران مصحوبة باسترخاء دائم ومزعج وغير مؤلم ويخرج تسميته اسهالاً لدوامه لا لميوعته . لم اعرض نفسي على طبيب لعلمي ان مثل ذلك الاسترخاء هو من لوازم الشيخوخة والكهولة وما علاجه الا عَوْد الشباب او العود الى الشباب وأيسر من كليهما البلوغ الى المنتهى .

فاسأل الله شفاءك لانه الاحب اليّ . لا اقول فديتك بنفسي لان ذلك ليس اليّ واقول شفاك الله ووقاك وابقاك لانه تعالى يريد ان نسأله وقد امرنا ان اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . فعلينا العمل بأمره وعلى رحمته استجابة الطلب . فلا يخل قلبك من التوكل عليه ولا نفسك من الرضا باحكام مشيئته وهو اكرم من ان يحبس رحمته وحنوه عن طالبها بايمان وثقة والحاح لا هوادة فيه ولا ملل . وانف من نفسك الخوف الذي لا يحسن بمن استأس بالحصن الامنع بحصن الله الذي بلطفه خلق وبلطفه يحفظ من خلق . فداوم اعمالك وعلى معاشرة قلمك والرب معك لا يفارقك وهو خير الرفقة وابقى المحبين والاصدقاء .

صلِّ وانا اصلي لا كالفريسي كأن لنا من اعمالنا ما يستوجب لنا اجر بل كالعشار الذي وجد نفسه غير اهل بان يرفع عينيه الى السماء وما كان الله ليرذل قلباً متواضعاً متلذّعاً بالخشوع ، ولنا على الله الاخذ بأمره ووعده : اطلبوا تجدوا فان لم نجد ساعة الطلب فليس لإخلاف بوعده بل لان عطيته غير محدودة بوقت نريده وتعلمه فجميع الامور مرهونة بعلمه ومشيئته وهو لا يريد لنا ولا يعطينا الا ما كان لنا به النفع في الزمان والمكان المقيّدين بعلمه وارادته . والقنوط من ابطائه في العطاء وقت الطلب لا يخلو من انتقاص الثقة بوعده ورحمته . هنا موضع القول مع ايوب : وان قتلني فاياه ارجو . فتشدد وتجلّد وتوقّع الرحمة من لدنه تعالى انه لا محالة سامع دعاءك ودعاءنا وكلمة التحنن على لسانه وبين شفتيه . قد شئت فلك ما سألت انا واضع العلة وانا رافعها فامهلني لاختبار صبرك وتعظيم اجرك .

ان لم يقم لك عائق عن الكتابة لي فكلمة للاطمئنان اليك لا لاذكرك واشكرك فالذكر والشكر ملازمان لقلبي ولساني ما بقي في انفي نسمة حياة . عشت سالماً معافىً قرّة عين وفخراً .

عن البراميه — في ٢ آذار سنة ١٩٦٠

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣١

اخي الوحيد والحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

قبلةٌ حارة في جبينك العالي واشتياقاً اليك لا يفتر ما دام في انفي نسمة وفي فؤادي نبض حضرت ام غبت . تقبلت بالشكر والدعاء لك المنة الثمينة اللبنانية التي شاءت محبتك الاخوية ان تتكرم بها حسنة خمسين قداساً اقدمتها على دفتر قداديس انطوش جبيل العامر لاستعين بالقيمة على بعض الحاجات . واذ كنت متعودٌ على اليسر والعسر وصارا في اعتباري متساويين لأن الضروري ميسور لي في كل حال لم استعن بسخائك للتوسيع على نفسي بل لتفريج الكرب عن ارملة شقيقي المرحوم جرجس لانها في عسر ماليّ وفي كرب شديد من وطأة المرض السكّري الذي اطفأ نور عينيها فامست عمياء لا تبصر النور ولا تقوى على غرض من اغراضها الا بمعونة الغير . وقد برزت بثور السكّري في ساقها وبثرة في احدى عينيها زيادة على العماء وحاجتها ماسة الى الدواء والى الطعام الملائم لتوقيف الداء عن جرها الى القبر الواقفة على بابه تنتظر يدٌ رحيمةٌ تدفعها اليه او عنه وتجود لها بالاعانة على مطالب عيشها الشديدة مرارته .

فهذه الامرأة التي عاشت باتم ما يكون من تقوى الله واقامت حدوده وربّت اولادها على معرفته ومحبته وعالتهم بتعب يديها وعينيها بخياطة الزينة للمذابح والملابس الكهنوتية لخدمة الذبيحة المقدسة . تفرّق عنها اولادها الذكور والاناث وصاروا ارباب عيال لا تأذن لهم الجال بايفائها من اجرة خدمتها الشاقة والطويلة الا ما ندر وقل مما لا يفي بحاجة المريضة العمياء المقعدة الكسيحة التي بعمل يديها كانت تقوم بحاجات العائلة الزوج والاولاد حارمة نفسها من الراحة النهار والليل . فابنها الاكبر جوزف مغترب في دكار وقد انقطعت مراسلاته حتى لم نعد نعرف ما صار اليه هو وعائلته . وقد كان يكتب مرة في الشهر على الاقل وكانت احواله حسنة وتجارته رابحة واتخذ الجنسية الفرنسية ليزداد حظه لمعاناً ، فما عتم ان نشبت ثورة الجزائر بين الجزائريين والفرنسيين ومنذ ذلك الحين انحبست اخبار جوزف فلم نعد نعلم ما جرى عليه. وصارت رسائلي اليه تذهب ولا تلاقي جواباً ولا اعلاماً بالوصول . فلاجل الترويح عن والدته التاعسة التمست من حبك الاخوي حسنة بعض قداديس لأصرفها اليها فأبى حنانك الا ان تعطيني على قدر محبتك لي وسخاء كفّك الفطريّ .

فلما قبضت القيمة واصبح قبضي اياها معلوماً رأيت من صحة الرأي وبقاء السلام ان ارد اليك ثمانين ليرة واستبقي عشرين ليرة فقط بدل عشرة قداديس اقدمها في الشهر الحالي على دفتر قداديس الانطوش . وفي طيّ هذه الرسالة تجد تعهداً خطياً باني مقدمها على الوجه المذكور . واما الثمانون الليرة المرجعة اليك فليست لك بل لاخيك انا : تحفظها امانة لي في يدك لاستردها في الاشهر التالية عشرين ليرة في كل شهر . وهذه الطريقة هي الفضلى استطيع معها اسعاف امرأة اخي بحسنة عشرة قداديس شهرياً واذا دعت الحاجة الى اسعاف هذه المريضة باكثر مما ذكر فاطلب اليك ما تدعو اليه الحاجة . ولا ارى من نفسي اني متثّل عليك بل على نفسي لانك مني بمكان نفسي . متعك الله بصحة تامة وأمدّ في عمرك وقدرك على بذل المعروف واغاثة الملهوف وبسط المروءات .

اعتقد اني ما بسطته لك الى هنا كفاءة لوقوفك على دواعي طلبي تجزيتي ما تتفضّل به من حسنة قداديس على الاشهر شهرًا فشهرًا فاني اكره ان يكون لغيرك ايّ جميل عليّ ولو سكوتاً او رضا . الثمانون ليرة المذكورة اعلاه سلمتها الى السيد يوسف زياده احد القائمين بسياسة محل الرهبانية بادارة حضرة الاب المحترم يوسف العجيل رئيس المعهد في بيت شباب ليوصل القيمة المذكورة الى يدك لعلمي انه يمر بجبيل وهو ماض لتفقد عائلته في تلك الجهة فلتمسي ان ترسل اليّ اعلاماً بوصولها الى يدك ولا تغفل الاخبار عن احوالك الصحية ولا سيما عن زوال البحّة وانطلاق الصوت . زالت وانطلق الصوت باذن الله وقطع دون كرّتهما طريق الرجوع . حرسك الرب وابقاك سنداً قوياً وفرحاً دائماً وفخراً بارزاً[1]

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣٢

ابت الجليل واخي الحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

بارك الله كل عضو من اعضاء بدنك وبارك روحك الطاهر وبارك السيد يوسف زياده الذي يحمل اليّ من اخبارك ما يولّيني الاطمئنان الى سلامتك وسلامة صوتك الذي فارقته البحّة فاصبح طبيعياً كما كان من قبل تقبيلها

(١) ان هذه الرسالة هي بدون تاريخ وقد أغفل سهواً .

حلقك الناطق ما يخيب تنبيله : اسأل الله الذي زرع تلك اللحمة العائقة الصوت الى وقت ان يمسح عليها بكفه الشافية ان يبتلعها بكلمة مشيئته التي لا يعسر عليها نقل جبل ومحوه من الوجود حتى يصير مكانه سهلاً لا صخرة فيه ولا حصاة اشبه (تمرج ابن عامر بفلسطين) واذا شاء تعالى ان يستأصل تلك اللحمة بشفرة جرّاح كما ننتظر ان يكون فان يتناد ذات القوة واللين هي التي ستحرك يد الطبيب فيتم الاستئصال بعيداً عن كل خطر وايلام ومضمون الشفاء وسرعة الشفاء وما علينا الا التوكّل على عنايته وابتناء الرجاء على رحمته الواسعة وما يخيّب من توكل عليه .

معايدتي لك بالفصح المبارك العكوف على الصلاة ليمنّ الله عليّ بشفائك العاجل وصيانتك من كل مكروه فاني لا امَلك الا مشاركتك في الخير والضر ، لا دنا الضرّ منك لان الشركة في الخير خير منها في الضر وقيته بادن الله . واني اسدي كثيراً من الشكر للسيد يوسف زياده لجعله من مروءته وصدقه صلةً قريبة بيني وبينك افضل من المراسلة لانه يحمل اليّ من لدنك ما يشاهده بالعين ويسمعه بالأذن جزاه الله خيراً . وعشت بصحة ورفاه وعمر طويل قرّة لعين

عن البراميه — في ١٤ نيسان سنة ١٩٦٠ .

اخيك ثابت

٣٣

ابت المحبوب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

جميل ولذيذ ان ازين اليوم الاول من شهر آب المبارك بالتحدث الى اخي الوحيد المحبوب كثيراً مني ومن كثيرين ، اليكْ يا شقيق الروح واعز من الروح .

جواباً على رسالتك الاخيرة ابدأ بالشكر لك على عواطفك الاخوية ومحبتك الصادقة والثابتة لتلطفك بالاعانة لي في كثير من اموري تجعل النظر اليها للتقويم على هواي تخفيفاً على عاتقي الواهن من اثقال البحث والتفتيش. جزاك الله خيراً وجاد لك بالصحة القوية والعمر الطويل لتبقى من كرمه وتحنته عوناً لي على المصالح التي قصّرت عن منالها يد الشيخوخة الباهظة . حسبي ان اراك او اعلم في الاقل انك كفوء بقوة الله لاخماد ثورة السكري المعتدي ودفع اذاه بدرع التوقّي وترس التحفظ من تناول الغذاء العائد نفعه اليه وضرّه عليك فان الحرمان من بعض الغذاء اهون من الحرمان من بعض صحة البدن .

واذا كان الحرمان لدفع المرض ولادرة النفس لارضاء الله وتحميده اصبح الصوم المفروض يعين بعملان لصحة النفس والروح معاً ويصير على الله ان يديك الاثنين فتحظى منهما بمرتبتين مباركتين تتكئتان على العلة حتى يأخذ منها الوهن وتصير في الاضمحلال . من الله عليك بقوة عالية وملأ يديك حصانة يفر العسكري من وجهها فرار الزئبق من وجه النار فتطيب نفساً ويسعدني قلمي شكراً لا يتنهي .

في جيب من الكتاب الفرنسي المفقود ابعث به اليك على حسب طلبك لزوجته في اوقات املاكم الى حضرة صديقنا الحبوب جداً مع تحياتي وسلواتي وشكري[1] وما اتمنى به من اطايب الاصطباف تمتعاً ببرد الماء وطيب الهواء ونسمات الازهار ورقص الاعشاب تداعبها الريح بحرير سياه في المساء وبرد النسائم يجد من حرارة الشمس وحلوة التأمل في صنع الخالق الى الانسان بالبروات المتنوعة الصبائغ والاشكال والمنافع وكسب الصحة واللذات الحلال من كل ما في المصايف من نافع وجميل .

ولك اتمنى أيّاماً الاقامة في ميفوق في ظل الاشجار الباسقة وفي الحورة الميفوقية حيث تنبت التينة بجانب الحورة وتسابقها في الصعود فتلحقها علواً غير مكترثة لما يعوزها من غلظ الساق فتراها كالحية الراقفة على ذنبها او كالجبل المنصوب احد طرفيه في التراب والطرف الآخر في العلاء على مساواة شجرة الحور ينازعها البقاء . وكأني بالتينة تقول للحورة المعجبة بطولها : مهلاً ايتها الطويلة بلا غلة ! اني وان كان ليس من طبعي التصعيد الى المستوى الذي لا يبقى لي عنده قوة الاثمار فاني اطاولك في الارتفاع مؤثرة ان ينالني مثل عتمك على ان ينالني العجز عن مساواتك في التصعيد والطول ولا ادعك تتبجحين بطولك وتعيرينني بقصري على ما لي به من فضل الاثمار . فها انا اخزي تكبرك بالمطاولة ولو صرت مثلك عوداً طويلاً مكللاً بالورق عارياً من الثمر . .

تأملت هذا المشهد الغريب وتعجبت من وجود تنازع البقاء حتى بين الشجر وما دونه من اصناف النبات . تلك حكمة الخالق تراها في كثير من مخلوقاته المتغايرة المتجاورة على سطح الارض . او ليس هذه حال الناس

(١) الكتاب الفرنسي هو « اريج روما » (le parfum de Rome) اهداه الأب ثابت من المرحوم اسعد بك خير ليختله الى العربية فنقل قسماً منه وفقد الكتاب فارسل الى اسعد لاداته الى « صديقه المحبوب جداً » حضرة الأب عبده خليفه مدير « المشرق » ليفتش له عن نسخة منه ويتم ترجمته . وقد اكملها وهي ما زالت بين اوراقه في دير البرامية.

يتسابقون ويتزاحمون في شتى الشؤون ومرد ذلك كله الى امر واحد نسميه تنازع البقاء . فاقرأ خرافات اخيك ان اتسع لك الوقت للتسلية والا فزق والقِ عنك فكل شيء مصيره الى الزوال .

وان احببت ان تلمّ بشيء من احوالي الصحية فما يصح لي ان اكتم عنك الحق وهو ان عبء الشيخوخة قد صرت اجدد باهظاً ولكنني انهض به حتى استخفه على رجاء انه صار قريب السقوط وان نعمة الله التي حملت معي اثقال ثمانين وسبعة اعوام من العمر لا تخلّيني ارزح حالاً فاقعد في ما بقي لي من العمر عن مباشرة الخدمة الشريفة التي مارستها بقوة النعمة نيّفاً وستين سنة لا بالاستحقاق بل بفيض العين الالهي والشركة في استحقاق الفادي الكريم . وبرغم ما في الشيخوخة من وهنٍ وهزال لا ابرح قائماً بالخدمة الشريفة وان على مهل . فلله الحمد في كل حال وزمان ومكان .

« ان الله لا يبلي تابعين » فيا لي من لدن رأفته في بلايا الهرم اكثر من معين اخوة واصدقاء أحبهم لي والليّ شبلي وخليفه وقاهما الله كل مكروه وعمرهما بكل خير محبوب . سلامي واشتياقي اليكما ودعائي لكما باطيب عيش واطول عمر سلمت وأرغدت يا قرّة عين

عن البراميه — في اول آب سنة ١٩٦٠

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣٤

اخي الاعز ومحبوبي الواقع من قلبي موقع القلب من جسدي

سلام عليك . ابطأت في مكاتبتي اياك لا نسياً ولا تهاوناً بل لتعود في الحمة واشتغالاً بترميم الصحة التي اشرفت على الانهيار فان اسهالا جارفاً واثبتي غير خجل من قتال شيخ في سن السابعة والثمانين صارع علة في المعدة والامعاء وحصاة في الكلية مدى خمس واربعين سنة ما عدا سني حداثته اذ كان يتألم ولا يقدر قيمة الألم . الاسهال في السن الكبيرة عدو قوي وعات يعوق عن تناول الغذاء في عمر من اشد الاعمار حاجة الى الغذاء .

لقيت في مصارعة الاسهال تعباً مضنياً لكنني لم ينقص رجائي في الله تعالى وتوكلي عليه واخذت الحال تتحسن وايقنت ان قوة من فوق لم تبرح تعضد ضعفي ولا افكر في البحث عن ذلك لان مقاصد الله كالله ابعد

من مثل كل خير واستغفره ... وذكّني الاسهاب فنسيت له ... روحة ولا رجعة، واخذت ولم اكن احداً في قصة طويل الرجعة عنيه بانتقاء الغداء الذي اعلن انه لا يحسن ان يتحدد سلاحاً لقتالي تجيء من الحرمان خير من شبع يورث كل الحرمان.

وليس احدى من المسلم مشيئة ابيه الذي في السماء فيم مدداً كل ما من خير روحي ومادي وضيقه لا تعقل ولا شأناً من شؤون خلقه ولا سيما اشتركين عليه. واي مد ولد الغريباء كنا او ضعفاء واجباء او اموالاً وهو ادرى بنا ينفعنا او يضرّنا وفي يده تحويل الضارّ الى نافع وهو ابوا وضيقه بنا كثر وعسيب من عنايته بانفسنا ولا يبالغنا من يده الا ما كان رافعاً لنا فيه كل او مرضاة فيه الشكر كل الشكر في كل حال متعة نفسه و مريضة. ان المريض يختمل بكثير من الصبر اوجاع البتر والقطع لعلمه ان ذلك لسلامة جسمه ولا يخطر في باله ان الطبيب يؤلمه رغبة في تعذيبه. مع ان الطبيب من حيث انه انسان يجوز ان يكون موضعاً للظن او للغلط. اما الله فينزّه عن كل ظن وغلط. وهو تعالى يجعل من الامراض والاوجاع منبّهاً للانسان الى تقويم ما اعوج من مسالكه والى ما ينتظره من زوال وحساب. فعند هذا التفكير لا مناص للمؤمن العاقل من القول لله تعالى: بتعضيد نعمتك احمل يا رب ما تشاء ان تلقيه على عاتقي من ثقيل اوم خفيف لانه يزول عاجلاً. وانما اسألك ان تثيبني بعد هذه الحياة الدنيا بمعاينة نور وجهك البهي الغامر بالفرح والسعادة الدائمين ارواح حاشيتك المحيطين بعرش جلالتك اجواق الملائكة والبشر السعداء المختارين.

مثل هذا التفكير ان لم يقو على استئصال العلة فلا اقل من ان يخفّف وطأتها القاسية ويمكّن التأمين بزوالها لانه كالياطر لسفينة تتقلبها الامواج فتخفّ الخوف عليها من ابتلاع اللجة ودنوّ اهلاك. هذه حياتنا نعلّلها بالترقيع فباعد عنا سطوة اليأس يتنسم نسيم الرجاء. وفوق تدبيرنا لله تدبير. وما دمنا نرجو حياةً خالدةً بعد هذه الحياة الفانية واليقا ان نجعل الحياة الباقية محفوفةً بسعادة ذات كمال وبقاء فليس بالشاق علينا ان يبدل لنا الزائل بالباقي والحسن بالاحسن. فلله درّ الايمان ما اجدره بتهوين البلايا وتحبيبها رغم ما تلبسه من اشمئزاز وكراهية. فسبيلنا ان نتخذ من الضعف قوة قائلين مع الرسول: اني قوي لا بقوة نفسي بل بقوة سيدي الذي يقويني يسوع المسيح. كيف لا ارجو ان يؤتيني القوة وقد جاد لي بدمه الثمين بذله الى آخر نقطة في محبته اياي اذ لم اكن مستحقاً لأخفّ نظرة من عطفه الكريم.

والآن اداوم الشكر لسيدنا الرب يسوع على ما اعطاني من بقائك وبقاء اخوّتك الصادقة تعزيةً في الشيخوخة واوهانها لما في ذلك من سلوة وعزّة وفخر . فانت لي في مكان الروح والفؤاد والصحة وعطية الله لكشف الهم وتفريج الغمّ . وانت ايها الحبيب لا يكن ثقيلاً عليك ما ينوبك من مكروه فما ذلك الا افتقاد من الله وسبب لكسب أجر عظيم هو الله نفسه الذي يفوق كل أجر « انا أجرك العظيم » ومهما تكاثرت البلايا واحزنتنا فليست بالأمر الغريب ما دمنا في وادي الدموع حيث لا يحق لنا ان نتوقّع كمال السرور ودوامه ما لم نخرج من ذلك الوادي العميق صائرين الى الذروة السعيدة المهيّأة للصابرين الجاعلين كل اتكالهم على جودة الله واستحقاقات دم المخلّص الثمين . لا القي عليك وعظاً بل تذكيراً بما يجب الصبر اليّ واليك .

انا لم ازل بقوة الله قادراً على الخدمة بتقريب الذبيحة الالهية كل يوم وعلى خدمة ذاتي في حاجات الروح والجسد وعلى خدمة غيري في الامرين عند اقتضاء الحال. تلك عطية من الله استديمها بالشكر الدائم من الصميم . واسأله تعالى ان يبقي لك ما وهبك من مثلها وزيادة وان يبقيك وقلمك السبّاق في مجالات الادب والدين والاخلاق العالية مثالاً في الصلاح والتقوى والغيرة الروحية وطيب نفس وقرّة عين .

عن البراميه — في ٢٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٦٠

لاخيك
الاب مبارك ثابت
لبناني